السنة السابعة والثلاثون

فيها كانت وقائع صِفِّين، وصِفّين قريةٌ من قرى الروم على شاطئ الفرات، مما يليها غياض ملتفّه بمقدار فرسخ أو فرسخين، وليس لها طريق إلى الماء إلّا من مكان واحد.

قلت: وعَبرتُ بالمشهد الذي عند صِفّين، وسمعتُ أهلَه تقول: هذا مشهد الصَّفَّين؛ يعنون صفّ أمير المؤمنين، وصف معاوية، وكان معاوية قد نزل عندها، وأخذ المشرعة على أصحاب أمير المؤمنين، واقتتلوا على الماء، وقد ذكرناه.

قال علماء السير: ولما دخلت هذه السنة جرت بين أمير المؤمنين ومعاوية مُوادعة على ترك الحرب؛ طمعاً في الصُّلح، فلم يتمّ.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مِخْنَف، عن أشياخه قالوا: بعث عليّ عديَّ بنَ حاتم ويزيد بن قيس الأَرْحَبي وشَبَث بن رِبْعي وزياد بن خَصَفَة[1] إلى معاوية، فلما دخلوا عليه قال له عدي بن حاتم: أما بعد؛ فإنا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به الكلمة، ويحقن به الدماء وتأمن به السُّبُل، ويُصلح الله به ذاتَ البَين، إن ابنَ عمك أمير المؤمنين سيّد المسلمين، وأفضلهم سابقة في الإسلام، وأحسنه أثراً، قد أجمع عليه الناس، ولم يبق سواك، فبايعه، لا يصيبُك وأصحابَك ما أصاب أهلَ الجمل.

فقال له معاوية: يا عديّ، أمُهدِّداً جئتَ أم مُصلحاً؟ كلا والله إني ابنُ حَرْب، ما يُقعقع لي بالشِّنان، وإنك والله لمن قَتَلة عثمان، وإني أرجو من الله أن يقتلك به.

وقال له شَبَث بن رِبعي وزياد وتنازعا جواباً واحداً: يا معاوية، أتيناك فيما يصلح الله به بين المسلمين؛ فأخذتَ تضرب لنا الأمثال، دع ما لا يَنفعك من القول، وأجب فيما يَعُمُّ نفعُه.

وقال له يزيد بن قيس: اتّقِ الله يا معاوية ولا تخالف أمير المؤمنين، فإنا والله ما رأينا رجلاً أعمل منه بتقوى الله، ولا أزهد منه في الدنيا.

(١) في (خ): عدي بن أبي حاتم، ويزيد بن أبي قيس الأرحبي، وشيب بن ربعي، وزياد بن حفصة، وهو خطأ، صوابه من الطبري ٥/ ٥، ووقعة صفين ١٩٧.

فقال معاوية: إن صاحبكم قتل خليفتَنا وابنَ عمِّنا، وألَّب عليه، وفرَّق جماعتنا، ثم يزعم أنه لم يقتله؟! ونحن لا نردُّ ذلك، ألستم تعلمون أن قتلَةَ عثمان أصحابُه وبِطانتُه، فلْيدفعْهم إلينا حتى نقتلَهم به، ثم نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شَبَث بن رِبْعي: أيسرُّك يا معاوية أنك لو مُكِّنْتَ من عمار أتقتلُه؟ فقال له معاوية: وما يمنعُني من ذلك؟ لو مَكِّنتُ من ابن سُمَيَّة ما قتلتُه بعثمان، ولكن كنتُ أقتلُه بناتِل مولى عثمان.

فقال له شبث: وإله السماء، إنك لن تصلَ إليه حتى تندُرَ الهامُ عن كواهل الأقوام، ثم تفرَّقوا عن غير شيء.

وقول معاوية: لا يُقعْقَع لي بالشِّنان مثلٌ للعرب(١)، والشِّنان جمع شَنَّة؛ وهي القِربة الصغيرة، والقَعْقَعَةُ الصَّوتُ.

قال أبو مخنف: ثم أرسل معاوية إلى أمير المؤمنين حَبيبَ بن مَسلَمة الفِهريّ ومعن ابن يزيد بن الأخنسَ، قال الطبري: وشُرَحْبيل بن السِّمط، وهو وهم؛ فإن شُرحبيل مات في السنة الماضية، وقد ذكرناه.

قال: ولما دخلوا على أمير المؤمنين حمد الله حَبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن عثمان كان خليفةً مهديًّا يعمل بكتاب الله، فاستثقلتُم حياته، واستبطأتُم وفاتَه، فعدوتُم عليه فقتلتُموه، فإن زعمت أنك لم تقتله فادفع إلينا قتلتَه، ثم اعتزل الناس، فيكون أمرهم شورى بينهم، يُولُّون مَن أجمع عليه رأيُهم.

فصاح عليه أمير المؤمنين وقال: اسكت لا أمَّ لك، ما لك ولهذا؟ فقام حبيب وهو يقول: والله لتراني بحيث تكره، فقال له علي: لا أبقى الله عليك إن أبقيت(٢).

ثم حمد أمير المؤمنين الله، وصلى على رسوله ﷺ وأثنى على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قال: فوَلي عثمان، فأتى بأشياء عابَها الناس عليه، فنهيتُه عنها فما انتهى، وأقام على لَجاجة، وتخلّى عنه المهاجرون والأنصار، فسار إليه الناس فقتلوه، ثم أتاني

(١) جمهرة أمثال العرب ٢/ ٤١٢.

(٢) في الطبري ٥/ ٧، ووقعة صفين ٢٠٠ كلام لشرحبيل بن السمط.

الناس وأنا مُعتزِلٌ أمورَهم فقالوا: إن الأمة لا ترضى إلا بك، فإن أبيت فعلنا بك كما فعلنا بعثمان، فبايعوني، فلم يَرُعْني إلا خلافُ طلحة والزبير وعائشة، فجرى ما جرى، وخالفني معاوية الذي لم يجعل الله له سابقةً في الإسلام، ولا سلفَ صِدْق في الدّين، طَليقُ بنُ طليق، لم يزل هو وأبوه معاندَيْن لله ورسوله، دخلا في الإسلام مُكرَهَين، وخرجا منه طائعَيْن، وقد تركتُم أهلَ بيت نبيّكم ﷺ وتبعتموه، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله.

فقال معن: اشْهَد أن عثمان قُتل مظلوماً، فقرأ أمير المؤمنين: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠-٨١] فقام معن وخرج.

وحدّثنا مشايخنا عن محمد بن ناصر بإسناده إلى عدي بن حاتم قال: قلتُ لعليّ وهو واقف في سبع مئة من ربيعة: يا أمير المؤمنين، ألا تروح إلى القوم فإمّا لنا وإما علينا، فقال: يا عدي، إن معاوية معه قومٌ يُطيعونه، وأنا معي قوم يعصوني، قال: فرحمتُه والله، وسنذكر هذا المعنى فيما بعد.

ذكر بداية القتال

وقفت على تاريخ بالشام منسوب إلى أبي جعفر الطبري، والظاهر أنه ليس من تصانيفه، يذكر فيه أنهم لم يزالوا يتراسلون شهرا ربيع وجمادى الأولى، وأنهم اقتتلوا في أول جمادى الآخرة، وليس هذا بشيء، والأصح أنهم اقتتلوا أوّل صفر.

قال علماء السير: ولما انفصل حَبيب ومعن عن أمير المؤمنين أمر مَرْثَد بن الحارث الجُشَمي فنادى: يا أهلَ الشام، إنا دعوناكم إلى الحقّ وقد أبيتُم، وإني قد نَبذتُ إليكم على سواء، إن الله لا يُحبُّ الخائنين(١).

وقال أبومخنف: وأوصى علي عليه السلام أصحابه فقال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، وإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مُدبِراً، ولا تُجهِزوا على جَريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تُمثّلوا، ولا تهتكوا ستراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في

(١) المنتظم ٥/ ١١٧.

عسكرهم، ولا تُهيِّجوا امرأة وإن شَتَمْنَ أعراضكم؛ فإنهن ضِعاف القُوى والنُّفوس.

قال أبو مخنف: وأصبح أمير المؤمنين أول يوم من صفر قد كتَّب الكتائب، فجعل الأشتر على خيل الكوفة، وسَهْلَ بن حُنَيف على خيل البصرة، وقيس بن سعد وهاشم ابن عُتْبَة على الرَّجّالة، وعلى القُرَّاء عمار بن ياسر وعبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء.

وجعل معاوية على ميمنته [ابن] ذي كَلاع الحِميريّ(١)، وعلى ميسرته حبيب بن مَسلمة الفِهري، وعلى مقدّمته أبا الأعور السُّلَمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى الرجَّالة مُسلم بن عُقبة المُرِّيّ والضحاك بن قيس الفهري، وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعَقّلوا نفوسهم بالعمائم، وكان المعقّلون خمسة صفوف.

ورتَّب أمير المؤمنين عساكره كترتيبه يومَ الجمل، وقيل: صفَّ أصحابَه أحد عشر صفاً، وفعل معاوية كذلك.

ولما كان أول يوم من صفر برز الأشتر النَّخَعي في خيل أهل الكوفة، وبرز إليه حَبيب بن مَسلمة وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى آخر النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض.

وخرج في اليوم الثاني هاشم بن عُتبة بن أبي وقَّاص في خيل أهل العراق، وبرز إليه أبو الأعور السُّلَمي، وصبر الفريقان.

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ عمار يقول يا أيها الناس ـ أو يا أهل العراق ـ أتريدون أن تنظروا إلى مَن عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين وظاهر المشركين، فلما رأى اللهَ قد أعزّ دينه، وأظهر الله نبيَّه ﷺ؛ أتى إلى رسول الله ﷺ فأسلم فيما نُرى راهباً غير راغب، ثم قبض الله رسوله، وهو والله معروف بعداوة المسلمين فقاتِلوه، وشدَّ عمار فأزال ابن العاص عن موقفه، فانصرف وعمار يصيح وراءه: من أراد أن ينظر إلى عدو الله الباغي على المسلمين، المجتهد في إطفاء نور الله؛ فهو هذا فجاهدوه.

---

(١) ما بين معكوفين من الطبري ٥/ ١١ ، والمنتظم ٥/ ١١٨ ، وما سيرد قريباً من قوله: اليوم السادس خرج قيس بن سعد، وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحميري.

اليوم الرابع: وخرج فيه محمد بن الحنفيّة، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين كبيرين عظيمين، فاقتتلوا أشدّ قتال، فأرسل عبيد الله إلى محمد بن الحنفيّة: أن اخرُج إليّ، فقال: نعم، وخرج يمشي، فبَصُر به أمير المؤمنين فقال: من هذان المتبارزان؟ فقيل ابن الحنفية وابن عمر، فركض دابتَه وصاح: يا محمد قف، ثم حمل على عبيد الله وقال: يا فاسق، أنا لك، فولّى مُنهزماً يقول: ليس لي حاجةٌ في مبارزتك، فقال له محمد: يا أمير المؤمنين، تبرُزُ إلى هذا الفاسق، والله لو دعاك أبوه لرغبتُ بك عنه[١]، فقال له: يا بنيّ، لا تقل في أبيه إلّا خيراً.

اليوم الخامس: خرج عبد الله بن عباس، وخرج إليه الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ الوليد يَسُبُّ بني هاشم ويقول: قطعتم أرحامَكم، وقتلتم إمامَكم، ولم تُعطَوا ما طَلبتُم، ولم تُدركوا ما أمَّلتُم، فحمل عليه ابن عباس فانهزم.

كذا ذكر الطبري[٢] أن الوليد بن عُقبة برز إلى ابن عباس! قالوا: لم يشهد الوليد صِفّين، والذي برز إلى ابن عباس أبو الأعور.

اليوم السادس: خرج قيس بن سعد الأنصاري، وخرج إليه ابنُ ذي الكَلاع الحميريّ، فاقتتلا على السواء.

اليوم السابع: خرج الأشتر، وخرج إليه حَبيب بن مَسلمة.

فلما كان اليوم الثامن أرزموا[٣] القتال إلى آخر يوم، وهو الذي فيه ليلة الهَرير، خطب أمير المؤمنين الناس وقال: إلى متى ما نُناهضهم بأجمعنا[٤]؟! وكان وقت السَّحَر، فأصبحوا يوم الخميس وهم على مَصافّهم، وقيل: إن هذا اليوم كان أعظم الأيام، فقال كعب بن جُعَيل التَّغلِبيّ في ليلته: [من الرجز]

أصبحت الأمةُ في أمرٍ عَجَبْ

(١) في (خ): به عنك، والمثبت موافق لما في الطبري ٥/ ١٣، ووقعة صفين ٢٢١.

(٢) في تاريخه ٥/ ١٣، وكذا ذكر نصر بن مزاحم في وقعة صفين ٢٢٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٢١٢، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٣٥٣.

(٣) في (خ): أرموا، ومعنى أرزموا: تابعوا وأداموا.

(٤) في الطبري ٥/ ١٣، ووقعة صفين ٢٢٥: حتى متى لاننا هض القوم بأجمعنا؟

والـمـلـكُ مَـجـمـوعٌ غـداً لـمـن غَـلَـبْ
أقــول قــولاً صــادقــاً غــيــرَ كَـذِبْ
إنّ غــداً تَــهــلــك أعــلامُ الــعَــربْ

وقد جرى بينهم أراجيز ومُناشدات عَدَّينا عليها خوفاً من الإطالة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى الليل.

وقال هشام: وكان هذا اليوم من أعظم أيام صِفّين وأشدِّها، كان ابن عباس في الميمنة، والأشتر في الميسرة، وعلى القرّاء عمار وعبد الله بن بُدَيل، وعلى الرجّالة قيس بن سعد، وأمير المؤمنين في القلب ومعه بنوه والمهاجرون والأنصار.

وأقبل معاوية في جيوشه وترتيبه المتقدّم، وقد رفع قُبَّةً عظيمة قد جعل عليها الكرابيس(١)، فحملت مَيمنة أمير المؤمنين على ميسرة معاوية وألجأتها إلى القُبَّة، وحمل معاوية وبيده سيفان، فحمل عليه عبد الله بن بُدَيل في ثلاث مئة من القرَّاء، وقصد قتلَ معاوية، فقتل حُمران مولى عثمان عبد الله بنَ بُدَيْل، واستظهر أهل الشام على ميمنه أهل العراق، فلما رأى ذلك الأشتر صاح على ميمنة أهل العراق: إليَّ، فتراجعوا وعادوا إلى ما كانوا عليه.

قال أبو مخنف: وبايع أهل الشام معاوية على الموت، وداروا حول قُبَّته.

وقال عبد الله بن بديل قبل أن يُقتل لأصحابه: ألا إن معاوية ادَّعى ما ليس له، ونازع الأمرَ أهلَه، وحاول الباطل ليُدْحِضَ به الحق، ومال عليكم بالأعراب والأحزاب، وقد زَيّن لهم الضَّلالة، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة، ولبَّس عليهم الأمر، وزادهم رِجساً إلى رِجسهم، وأنتم على نورٍ من ربكم، وهُدىً وبُرهان مُبين، فقاتلوا الطُّغاة الجُفاة. وذكر كلاماً في هذا المعنى، ثم حمل على قُبَّة معاوية فقتلوه.

وقال أبو مخنف: كان النَّبْلُ في ذلك اليوم يمرُّ بين عيني(٢) أمير المؤمنين ومَنكبيه، وهو يأخذه بيده فيلقيه كذا وكذا، وربيعة تقيه بنفسها، فلا يصل إليه منه شيء، والأشتر

---

(١) نوع من الثياب.
(٢) كذا، والذي في الطبري ٥/ ١٩ ، والمنتظم ٥/ ١١٨ : بين عاتقه ومنكبه، وهو الأشبه.

يحمل ويقول: [من الرجز]

الـغَـمـراتِ ثـم يـنـجـلـينـا

وفي هذا اليوم قُتل عمار لما نذكره في موضعه.

وقال هشام: قاتلت ربيعة في ذلك اليوم دون أمير المؤمنين قتالاً عظيماً، والراية بيد حُضَين بن المنذر، ولما مَرّ أمير المؤمنين بعمار فرآه قتيلاً بكى بكاء عظيماً، وبكى الناس، وقال لربيعة وهَمْدَان، أنتم دِرعي ورُمحي، وكانوا قد أبلَوا بلاء حسناً، فانتدب له اثنا عشر ألفاً، وحمل على بغلته، وحملوا معه حملةَ رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صفٌّ إلا انتقض، وانتهَوا إلى صفِّ معاوية، وأمير المؤمنين يقول: [من الرجز]

أضـرِبُـهـمْ ولا أرى مـعـاويـه

الجاحِظَ العينِ العظيمَ الحاوِيه

ثم صاح: ويحك يا ابنَ هند، علامَ تفنى الناس، هلمَّ أحاكمك إلى السيف؛ فأيّنا قُتل استقام الناس للآخر، فخاف معاوية وانتفض، فقال له عمرو: قد أنصفك وما يَحسن بك إلا مبارزتُه، فقال له: طمعتَ فيها بعدي، أما علمتَ أنه ما بارزه رجلٌ إلا قتله.

وقال هشام: وكان أمير المؤمنين قد أبرز في ذلك اليوم لواء رسول الله ﷺ الذي كان يقاتل تحته، ولم يكن أبرزه قبل ذلك اليوم، وأعطاه لقيس بن سعد بن عبادة، فضجّ المسلمون بالبكاء، واجتمع حوله المهاجرون والأنصار، فقال قيس بن سعد: [من البسيط]

هـذا الـلـواء الـذي كـنـا نَـحُـفُّ بـه ... دون الـنـبـيِّ وجـبـريـلٌ لـنـا مَـدَدُ

مـا ضَـرَّ مَـن كـانـت الأنـصار عَـيبتَـه ... أن لا يـكـون لـه مـن غـيـرهـم مَـدَدُ[1]

وقدّم معاوية بين يديه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف ينادون: يا دم عثمان، وعبيد الله يقول: [من الرجز]

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٣٤٦ (مخطوط).

أنـا عـبـيـد الله يَـنْـمـيـنـي عـمـرْ
خـيـرُ قـريـشٍ مـن مَـضـى ومـن غَـبَـر
قـد أبـطـأت فـي نـصـر عـثـمـانَ مُـضَـرْ

فصاح به أمير المؤمنين: يا فاسق كم تتعلَّل بدم عثمان والله، وأنا أطلبكم بدم الهُرْمُزان، والله لأقطعنّك إرْباً إرباً، وقال للأشتر: احمِلْ عليه، فحمل عليه فانهزم، والأشتر يقول: [من الرجز]

إنـي أنـا الأشـتـر مـعـروفُ الـسِّـيَـر
إنـي أنـا الأفـعـى الـعـراقـيُّ الـذَّكَـرْ

وقال أبو مخنف: خطب أمير المؤمنين بصفِّين فقال: يا أيها الناس، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠] وقرأ آيات الجهاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾الآية[الصف: ٤]، فسوُّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدِّموا الدّارع، وأخِّروا الحاسر.

وأوصاهم(١) وقال: وإن هؤلاء القوم لم يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيَّعناه، وإحياء حقٍّ رأونا أمتناه، وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا؛ ليكونوا فيها جبابرة ملوكاً، ولو ظهروا عليكم لرموكم بمثل سعيد، والوليد، وابن عامر الضال السَّفيه، فقاتلوا عباد الله المارقين الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادهم لومةُ لائم، فمتى ظهروا عليكم أفسدوا دنياكم ودينكم.

قال هشام: واتَّصل القتال من ليلة الجمعة إلى الصباح، وهي ليلة الهَرير، وكانت ليلةً عظيمة مثلَ ليلة الهَدْأة بالقادسية، تطاعنوا بالرماح حتى تقصَّفت، وترامَوا بالنَّبْل حتى نَفِد، وتضاربوا بالسيوف حتى كَلَّت، وخفيت الأصوات، وغابت الأخبار عن أمير المؤمنين وعن معاوية.

ويقال: إن أمير المؤمنين ثلم في تلك الليلة ثمانيةَ أسياف، وجُرح خمس جراحات؛

(١) في الطبري ٥/ ١٧ ، ووقعة صفين ٢٤٧ أن هذه الوصية ليزيد بن قيس الأرحبي حرّض الناس فيها على القتال.

ثلاثة في رأسه واثنان في وجهه.

فلما طلع الصباح نادى منادٍ: يا أمَّة محمد، البقية البقية، تركتم الإسلام بعد ما دخلتم فيه، وأضعتم الصلاة، الله الله.

وأصبح القتال بحاله، وحمل الأشتر بأهل العراق وربيعة على أهل الشام، فقتل صاحب رايتهم، فانتقضت صفوف أهل الشام، وأيقن معاوية بالهلاك.

وقال ابن عبد البر، نادى حَوْشب الحميريّ: يا ابن أبي طالب، انصرف عنا، نَنشُدك اللهَ في دمائنا ودمك، ونُخلّي بينك وبين عراقك، وتُخلّي بيننا وبين شامنا، فقال أمير المؤمنين: هيهات يا ابن [أم] ظُلَيم، لو علمتُ أن المداهنة تَسَعُني في دين الله لفعلت، ولكن الله لم يَرض من أهل القرآن بالمداهنة وهم يطيقون الدفاع، حتى يَظهر أمرُ الله تعالى[1].

وقال ابن إسحاق: أقاموا يتراسلون شهراً، ويَفْزَعون فيما بين ذلك [الفَزعةَ بعدَ الفَزعة]، ويحجز بينهم القراء والصالحون، فيفترقون عن غير حرب، وكانوا يكرهون اللقاء مخافةَ الاستئصال، غير أنه كان يخرج الجماعة من هؤلاء وهؤلاء فيقتتلون بين العسكرين.

قال: ودخل أبو أُمامة الباهليّ على معاوية فقال له: علام تقاتل علياً وهو أحق بهذا الأمر منك؟ فقال: أقاتله على دم عثمان، قال: أهو قتله؟ قال: آوى قتلتَه، فاسأله أن يُسلمهم إلينا فأنا أول مَن بايعه. فدخل على علي ومعه جماعة من الصحابة فقال: سلم إليهم قَتَلَة عثمان، فاعتزل من عسكر علي زهاء عشرين ألف رجل، فصاحوا: نحن قتلْنا عثمان، فخرج [أبو] أُمامة فلحق بالساحل، ولم يشهد شيئاً من تلك الحروب[2].

ولما نَشِبت الحرب جعل علي عليه السلام عمار بن ياسر على الخيل، وعلى الرجَّالة عبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ، ودفع الراية العظمى إلى هاشم بن عُتبة المِرقال، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى رجَّالة الميمنة سُليمان بن صُرَد، وعلى رجّالة الميسرة الحارث بن مُرَّة العَبديّ، وفي القلب [مضر، وفي الميمنة] ربيعة، وضمَّ قريشاً وأسداً إلى ابن عباس، وضم كِندَة

---

(١) الاستيعاب (٥٩٨) وما بين معكوفين منه.

(٢) الخبر في وقعة صفين ١٩٠ والبداية والنهاية ٢/ ٥٠٧ وما بين معكوفين منهما.

إلى الأشعث بن قيس، وضم بكراً إلى الحُضَين بن المنذر، وجعل عَمرو بنَ الحَمِق على خُزاعة، وكتَّب الكتائب، وفرَّق الأُمراء على القبائل[١].

وأما معاوية فاستعمل على الخيل عمرو بن العاص، وعلى الرجَّالة مُسلم بن عُقبة المُرِّي، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة حَبيب بن مَسلمة، ودفع اللواء الأعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، واستعمل على أهل دمشق الضَّحَّاك بن قيس، وعلى أهل حمص ذا كَلاع، وعلى أهل قِنّسرين زُفَر بن الحارث، وعلى أهل الأردن أبا الأعور السُّلَمي، وكتّب الكتائب، وفرّق القبائل.

ولما كان في اليوم الأول تقابلت الصفوف، فكان كلٌّ فريق سبعةَ صفوف، فوقفوا تحت رايتهم لا يَنطق أحدٌ منهم بكلمة، فخرج رجل من أهل العراق يُسمَّى حَجْل[٢] بن أثال، وكان من فُرسان العرب، وطلب البراز وهو مُقَنّع بالحديد، فبرز إليه أبوه أثال وكان في أهل الشام، ولم يعرف أحدهما صاحبَه، فتطاعنا وتضاربا وتطاردا، فلم يترجّح أحدهما على الآخر، فحمل الأب على الابن فاحتضنه فقلعه من سرجه، فسقط وسقط الأب عليه، فانكشفت وجوههما فتعارفا، فرجع كلٌّ واحدٍ إلى عسكره، ثم فصل بينهم الليل.

ثم خرج في بعض الأيام عُتبة بن أبي سفيان، فوقف بين الصفين، فبرز إليه جَعْدَةُ بن هُبَيرة بن أبي وَهْب القرشي، فتجاولا وتقاولا، فأغضب جَعدةُ عُتبة، فشتمه عتبة، فحمل عليه جَعدة فانهزم، ثم خرج كلٌّ واحد من الفريقين إلى الآخر على ما ذكرنا.

قال: وحمل عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقاء على صفوف أهل الشام في القُرَّاء فخرقها، وقتل جماعةً، حتى انتهى إلى الرابية التي عليها معاوية فحالوا بينهما، ولم يعمل في ابن بُدَيْل حديد لما كان عليه من اللّبس، فصاح معاوية: ويحكم إن الحديد لم يُؤذن له في هذا، فعليكم بالحجارة، فضربوه بالحجارة حتى مات، وجاء معاوية فوقف عليه وقال: هذا كَبْش القوم، وهو واللهِ كما قال الشاعر[٣]: [من الطويل]

---

(١) انظر الأخبار الطوال ١٧١ ، ووقعة صفين ٢٠٥ .

(٢) في (خ): جحد، والمثبت من الأخبار الطوال ١٧٣ .

(٣) البيتان لحاتم الطائي، والأول في ديوانه ٢٥٦ ، وهما في الأخبار الطوال ١٧٦ ، والطبري ٥/ ٢٤ ، ووقعه صفين ٢٤٦ ، ومروج الذهب ٤/ ٣٧٣ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢١٦ دون نسبة.

أخو الحربِ إن عَضَّت به الحربُ عَضَّها   وإن شَمَّرت عن ساقها الحربُ شَمَّرا
كلَيثٍ عَرِينٍ بات يحمي عَرينَه   رَمَتْه المنايا قَصْدَها فتَقَطَّرا

قال: ونادى علي معاوية: ابرُز إليّ يا ابنَ هند حتى نُريحَ الناس، فقال معاوية لعمرو: ما ترى؟ قال: قد أنصفك الرجل، فابرز إليه، فقال معاوية: أتخدعُني عن نفسي، ثم قال: [من الكامل]

ما للملوك وللبِراز وإنما   حَظُّ المبارِزِ خَطْفَةٌ من بازِ

ثم هجر معاويةُ عمراً أياماً.

وقال أبو مَعْشَر: قال عمرو: أنا خارجٌ إلى علي غداً، فبرز من الغد ونادى: يا أبا الحسن، اخرج إليّ فأنا عمرو بن العاص، فانتضى أمير المؤمنين سيفه، وحمل عليه، فلما أراد أن يَغشاه رمى بنفسه عن فرسه، ورفع إحدى رجلَيه فبدت عورته، فصرف أمير المؤمنين وجهه عنه وتركه، فانصرف عمرو إلى معاوية فقال له: يا عمرو، احمد الله وسواد استِك.

قال: وخرج عبيد الله بن عمر في بعض أيام صفّين فقال: أنا الطيّب بن الطيّب، فناداه عمار: يا ملعون، بل أنت الخبيث بن الطيّب.

قال ابن إسحاق: وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صفين إذا انصرفوا من الحرب يدخل كلُّ فريق منهم في الفريق الآخر، فلا يتعرَّض أحد لصاحبه، يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ناحية عن المعركة.

وروى أبو مخنف، عن الأعمش، عن أشياخه قالوا: شاع خبر أمير المؤمنين في تلك الأيام أنه يقصد أهل الشام فيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم، ففزع أهل الشام خوفاً على الفريقين من البوار، وبلغ معاوية فصفّ الصفوف، فصفّ أهلَ الشام على ترتيبهم، وارتجز عمرو بن العاص بين يدي الصفوف فقال:

يا أيها الجيشُ الصَّليبُ الإيمانْ
قوموا قياماً فاستغيثوا الرحمانْ

إنـي أتـانـي خـبـرٌ فـأبـكـان[1]

أن عـلـيـاً قـتـلَ ابـنَ عـفَّـانْ

رُدُّوا عـلـيـنـا شـيـخَـنـا كـمـا كـانْ

وصعد معاوية على رابية، ونصب سريراً عالياً، وقعد عليه ينظر إلى الفريقين، فحمل أمير المؤمنين، وكبَّر وكبر الناس، فانتقضت صفوف أهل الشام، وانتهت الهزيمة إلى معاوية، فتطاعنوا بالرِّماح حتى تقصَّفت، وتثلَّمت السُّيوف، وتكادموا بالأفواه، ثم تنادوا من كل جانب يا معشر العرب، اللهَ الله، البقيَّة البقية، وأمير المؤمنين يَنغمس في القوم، فما يَنصرف حتى يَنثني سيفُه، وقربوا من سُرادق معاوية، فهرب معاوية وعمرو بن العاص عن السُّرادِق، فغَشَوه بأسيافهم فقطّعوه.

وكان عامة المهاجرين والأنصار ومَن شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد ممن حضر الجمل وصفين لم يشهروا سيفاً، ويقولون: الأمر مُلتَبِس، إلى أن قُتل عمار، فتنادَوا: استبان الأمر بقتل العبد، وكبَّروا تكبيرةً ارتجَّ لها العسكر، وصاحوا: طاب الضِّراب اليوم، وحملوا فقتلوا في أهل الشام مَقتلةً لم يُرَ مثلُها، وجعل المهاجرون والأنصار يقولون: صدق رسول الله ﷺ، وقُتل المِرْقال.

حديث رفع المصحف

واختلفوا فيه: روى أبو مخنف عن أشياخه قالوا: لما رأى عمرو بن العاص صفوف أهلِ الشام قد انتَقضت خاف الهلاك، فقال لمعاوية: هل لك في أمر أعرِضه عليك لا يَزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فُرقة؟! قال: نعم.

وفي رواية هشام أن السائل لعمرو معاوية؛ لما رأى الغَلَبة وخاف الهلاك قال لعمرو: هل من حيلة، فهذا وقت مُخَبّآتك وهناتك.

رجع الحديث إلى أبي مِخنف قال: فقال له عمرو: نرفع المصاحف على رؤوس الرماح، ثم تقول: ما فيهم حَكَمٌ بيننا وبينكم، فإن أبى بعضُهم أن يقبلها وجدتَ فيهم

(١) في (خ): السليب الإيمان، خبراً فأبكاني، والمثبت من الأخبار الطوال ١٨٠، ووقعة صفين ٢٢٨.

من يقول: بل ينبغي أن نَقبل، فتقع الفرقة بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها؛ رفعنا هذا القتال والحربَ إلى أجل.

فرفعوا المصاحف على الرِّماح وقالوا: هذا كتابُ الله بيننا وبينكم، مَن لثُغور المسلمين من أهل العراق، مَن لثغور أهل الشام؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه.

وقال هشام: قال الأشعث بن قيس لقومه: قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المُبيرة[١]، وإنا والله لئن التقينا غداً إنه لبَوار العرب، فانطلقت العيون بكلام الأشعث إلى معاوية فقال: صدق الأشعث، لئن التقينا غداً لتميلَنّ الرومُ على ذَراري أهل [الشام، وليميلنّ دَهاقين فارس على ذَراري أهل] العراق[٢]، وما يُبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام، اربطوا المصاحف على أطراف القنا، فرُبِطت.

فأولُ مُصحفٍ رُبط مصحف دمشق الأعظم، ورُفع على خمسة أرماح، يحملها خمسة رجال، ثم رفعوا جميع ما كان معهم على القنا، وأقبلوا في الغَلَس ولم يعلم أهل العراق ما معهم حتى أضاء الصبح، فتقدّم بين يدي المصاحف جماعة منهم: شُرَيْح[٣] الجُذاميّ، ووَرْقاء بن المُعَمّر[٤]، فنادَوا: الله الله [في نسائكم وأولادكم]، بيننا وبينكم كتاب الله، فقد فَنينا، فقال أمير المؤمنين: والله ما الكتابَ تريدون، وإنما المكر تُحاولون.

وتكلّم أصحاب عليّ عليه السلام؛ فقال الحُضَين بن المُنذر: أيَّها الناس، إن لنا داعياً قد حَمِدنا وِرْدَه وصَدَرَه، وهو المأمون على [ما فعل، فإن قال لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نَعم. فتكلّم علي وقال:] عباد[٥] الله، نحن أولى مَن أجاب إلى كتاب الله، غير أن القوم قد عضَّتهم الحربُ فقصدوا المكرَ والخَديعة.

---

(١) في (خ): هل رأيتم ... المثيرة، والمثبت من (ع) ووقعة صفين ٤٨٠-٤٨١، والأخبار الطوال ١٨٨.

(٢) ما بين معكوفين من الأخبار الطوال ١٨٩، ووقعة صفين ٤٨١.

(٣) في وقعة صفين ٤٧٨: أبو شُريح.

(٤) في (خ): المعتمر، والمثبت من الأخبار الطوال ووقعة صفين.

(٥) ما بين حاصرتين من الأخبار الطوال ١٨٩-١٩٠، ووقعة صفين ٤٨٥-٤٨٦.

وقال الأشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين، نحن لك اليوم على ما نحن عليه ـ أو على ما كنّا عليه لك أمس ـ غير أن الرَّأي إن رأيتَ إجابةُ القوم إلى كتاب الله حكماً. وأما عديّ بن حاتم وعمرو بن الحَمِق فلم يريا ذلك، ولم يُشيرا على عليٍّ به.

رجع الحديث إلى أبي مِخْنف قال: قال عليّ لما رُفعت المصاحف وقال أصحابُه: نُجيبُ إلى كتاب الله: يا عباد الله، امضوا على حقِّكم وصِدقكم وقتال عدوِّكم، فإن معاوية وعمرو بنَ العاص وابنَ أبي مُعَيط وحَبيب بنَ مَسْلَمة وابنَ أبي سَرْح والضَّحّاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دِينٍ ولا قرآن، أنا أعرفُ بهم منكم، قد صحبتُهم أطفالاً ورجالاً؛ فكانوا شرّ أطفال وشرَّ رجال، ويحكم والله ما رفعوها أنهم يعلمون ما فيها، وإنما هو مَكرٌ وخديعة، ووهن[١] ومَكيدة، فقالوا: ما يَسَعُنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنتأبّى عليه، وإنما نقاتلهم ليَدينوا بحكم الكتاب[٢].

وكان أشدَّهم عليه الأشعث بن قيس لعزله إياه عن أرمينية، فنهاهم أمير المؤمنين فما انتَهوا، وناداه مِسْعَر بن فَدَكيّ التّميمي وزيد بن حُصَين الطّائي ثم السِّنْبِسيّ في عصابة من القُرَّاء الذين صاروا خوارج بعد؛ منهم ابن الكَوّاء: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله إذْ دُعيتَ، وإلا ندفعك برُمَّتك إلى القوم، أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان، أو بابن عفّان. قال: احفظوا مقالتكم هذه، فإن أطعتموني فقاتلوا، وإن عصيتموني فاصنَعوا ما بدا لكم، فقالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك.

قال: فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هانئ السَّبيعي: أن أئتِني، فأتاه فقال: ائت أميرَ المؤمنين، فقال: قل له: قد لاح الفتحُ فلا تعجلْني، وليست هذه الساعة التي ينبغي أن آتيك فيها، ولا تُزِلْني عن موقفي، فرجع يزيد إلى علي فأخبره، فارتفعت الأصوات من قِبلِ الأشتر، فقال القوم: والله ما نراك أمرتَه إلا بالقتال، فقال: رأيتموني سارَرْتُه؟ أما كلَّمتُه على رؤوس الملأ، فقالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك، فعاد إليه يزيد وقال: ويحك أقبلْ فقد وقعت الفتنة، فقال: أرُفعت المصاحف؟ قال: نعم، قال: والله إنها لمَشورة ابنِ العاهرة؛ يعني عمرو بن العاص،

(١) في (خ): ووهناً، وفي الطبري ٥/ ٤٩ : ما رفعوها لكم إلا خديعةً ودهناً ومكيدة.

(٢) في الطبري: فقال لهم [علي]: فإني إنما قاتلتهم ليدِينوا بحكم هذا الكتاب.

ويحك أما ترى الفتح؟ فقال: أقبل إليه فقد قالوا: إنا نفعل به كما فعلنا بابن عفّان.

فأقبل الأشتر إليهم وقال: يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، يا أهل الذُّلِّ والوَهَن، حين عَلَوتم القوم ظَهْراً، وظَنُّوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد تركوا والله ما أنزل الله فيها، وسنَّةَ مَن أُنزلت عليه.

ويحكم، أمهلوني فُوَاقاً[١]؛ فإني قد أحسستُ بالفتح، قالوا: لا، قال: أمهلوني عَدْوَ الفرس، قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك، وجرت بينهم مُنازعات، قال: ويحكم، كيف بكم وقد قُتل خيارُكم وبقي أراذلُكم؟! فمتى كنتم مُحقّين؟ أخَير كنتم تقاتلون أم الآن خير، فما حال قتلاكم الذين لا تُنكرون فضلَهم؟ أفي الجنة أم في النار؟ قالوا: قاتلناهم في الله، ونَدَعُ قتالهم في الله، فقال الأشتر: يا أصحاب الجِباه السُّود، كنا نظنُّ صلاتكم زهادةً في الدنيا، وشوقاً إلى الله، فلا أرى فِرارَكم إلا من الموت، فسَبُّوه وسَبَّهم، وضربوا وجه دابّته، وضرب وجوه دوابّهم بسَوْطه، فصاح بهم علي: كفُّوا فكفُّوا.

وكان الأشتر في ناحية المَيْمنة وقد أشرف على النَّصْر والظَّفَر، فامتنع من المجيء إلى عليّ، فقال له يزيد: ويحك، أينفعُك الظَّفَرُ هاهنا وأمير المؤمنين بين أعدائه يتهدَّدونه بالقتل.

وقال ابن إسحاق: رفعوا خمس مئة مصحف، فقال النجاشي بن الحارث: [من الطويل]

فأصبح أهلُ الشام قد رفعوا القَنا ... عليها كتابُ الله خيرُ قُرانِ
ونادَوا عليًّا يا ابنَ عمِّ محمدٍ ... أما تتَّقي أن يَهلك الثَّقَلانِ[٢]

ثم قال أمير المؤمنين: واعجباً، يُطاع معاوية وأُعصى أنا، لله دَرُّ ابنِ عبّاس فإنه ينظر إلى الغيب من سِترٍ رقيق.

قال ابن الكلبي: كان ابن عباس قد قال لأمير المؤمنين في أول الأمر: ابعثني إلى

(١) الفُواق: ما بين الحَلْبَتَيْنِ من الوقت، ويعني به هنا وقتاً قصيراً.
(٢) مروج الذهب ٤/ ٣٧٨، ووقعة صفين ٥٢٥ .

معاوية أكن بينك وبينه، فو الله لأَفتلَنّ لك حبلاً لا ينقطع وسَطُه، ولا ينتقض طرفاه، فقال علي: والله لأُعطينّه السيف حتى يغلبنّ الحقُّ الباطل، قال ابن عباس: أوَغير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: تُطاع فلا تُعصى، وعن قليل تُعصى فلا تُطاع، فكان كما قال(١).

وجاء الأشعث بن قيس إلى علي عليه السلام، فاستأذنه في الذّهاب إلى معاوية يسأله عن رفع المصاحف، فأذن له، فأتاه فقال: يا معاوية، لأيّ شيءٍ رفعتم هذه المصاحف؟ فقال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به من كتابه، تبعثون رجلاً منكم ممن تَرضَون به، ونبعث رجلاً منا ممن نرضى به، ثم نأخذ عليهما العهود أن يَعملا بما في كتاب الله تعالى، ثم نتَّبع ما اتفقا عليه، فقال الأشعث: هذا هو الحق، ثم عاد إلى علي فأخبره، فقال الناس: قد رَضِينا وقبلنا، وقال أمير المؤمنين: خديعة ومَكيدة. هذه رواية أبي مِخنف.

وأما الواقدي وابن إسحاق وهشام بن محمد فإنهم رووا عن مشايخهم أنهم قالوا: لما أجاب أمير المؤمنين إلى حكم القرآن قام معاوية في أهل الشام فقال: أيها الناس، إن الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم، وإن كلَّ واحد منا يظنُّ أنه على الحق وصاحبه على الباطل، وإنا قد دعوناهم إلى كتاب الله والحكم به، فإن قَبلوه وإلا كنا قد أعذرْنا إليهم.

ثم كتب معاوية إلى أمير المؤمنين: إن أول ما يُحاسب على هذا القتال أنا وأنت، وأنا أدعوك إلى حَقْن الدماء، واجتماع الناس والكلمة، واطّراح الضغائن، وأن يحكم بيني وبينك القرآن.

فكتب إليه أمير المؤمنين: دعوتَ إلى حكم القرآن، وإني أعلمُ أنك لا تُحاول حكمَ القرآن، وقد أجبتُ القرآن إلى حكمه لا إيّاك، ومن لم يَرْضَ بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

قالوا: وكتب عمرو إلى أمير المؤمنين: أما بعد، فقد أنصف مَن جعل القرآن حكماً، فصبْراً أبا حسن؛ فإنا غيرُ مُنيليك إلا ما أنالك القرآن.

---

(١) انظر العقد الفريد ٤/ ٣٤٦.

فكتب إليه أمير المؤمنين: أما بعد فإن الدنيا زائلة، فلا تُحبط عملَك بموافقة معاوية على باطله، ولو اعتبرتَ بمَن مضى انتفعتَ بما بقي والسلام.

ذكر اجتماع الفريقين على التحكيم

قال علماء السير ممن سمَّينا، دخل حديث بعضهم في بعض: لما تراضى الفريقان على تحكيم الحكمين اجتمع قُرّاء العراق [وقرّاء] أهل الشام، فقعدوا بين الصفَّين، ومعهم المصاحف يتدارسونها، فقال أهل الشام: فإنا قد اخترْنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث بن قيس ومن معه من قُرّاء أهل العراق: وقد رضينا نحن بأبي موسى الأشعري، فقال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني في آخره الآن، إني لا أثق بأبي موسى ولا بحَزْمه، وإنه غير ثقة ولا مأمون، قد خَذّل الناس عني، ثم هرب مني حتى آمنتُه، ولكن أجعل لذلك عبد الله بن عباس، فقالوا: والله ما نُبالي أكنت أنت أم ابن عباس، وأيّ فرقٍ بينك وبينه، فأنت منه وهو منك، وأبو موسى لم يزل مُعتزلاً ما نحن فيه، وإنما نُريد رجلاً ليس منك ولا من معاوية.

قال علي عليه السلام: فلِمَ ترضون لأهل الشام بعمرو بن العاص؟ قالوا: أولئك أعلم، إنما علينا أنفُسَنا. قال: فإني أجعل الأشتر، فقال الأشعث بن قيس ويزيد بن خطّاب[1] ومسعود بن فَدَكي ورؤس الخوارج: وهل سَعَّر البلادَ والدنيا غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟ فقال علي: فما حُكمُه؟ قالوا: أن يَضرب بعضُنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد، قال علي: فقد أبيتُم إلا أبا موسى؟! فاصنعوا ما بدا لكم.

قال: فبعثوا إلى أبي موسى، وكان قد اعتزل الناس، وهو بعُرْض، مكان بالشام[2]، فدخل عليه مولى له، فقال له: قد اصطلح الناس، فقال: الحمد لله رب العالمين، قال: وقد جعلوك حَكماً، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال هشام بن محمد: وكان أبو موسى يقول قبل ذلك: إن الفتن لم تزل في بني

(١) كذا، وهو خطأ صوابه: زيد بن حُصين.
(٢) بين تدمر والرصافة. معجم البلدان.

إسرائيل ترفعهم وتضعهم حتى يبعثوا حكَمين يحكمان حُكماً لا يرضى به أحد الفريقين، وهذه الأمة كذلك، فقال له سُويد بن غَفَلة: فإن أدركتَ ذلك الزمان فاحذرْ أن تكون أحد الحَكَمين، فقال: لا جعل الله لي في الأرض مَقعداً إن فعلتُه، فلما حكم أبو[1] موسى لقيه سُويد فقال: أتذكر كذا وكذا، فقال: اسأل الله العافية.

قلت: وقد أخرج هذا المعنى أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» مرفوعاً إلى سُويد ابن غَفَلة قال: سمعت أبا موسى يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكون في هذه الأمة حَكَمان ضالّان؛ ضلَّ من اتَّبعهما». قال سُويد: فقلت له: احذَرْ أن تكون أحدهما، قال: فو الله ما مات حتى رأيتُه أحدهما[2].

قالوا: وهذا الحديث لا يصحُّ مرفوعاً، وإنما هو موقوف على أبي موسى.

قالوا: وجاء أبو موسى، فدخل عسكر أمير المؤمنين، فولَّوه الأمر فقبله، ورضوا به، وجاء الأحنف بن قيس إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد رُميت بحجَر أهل الأرض، وداهية العرب، وبمن حارب الله ورسولَه، وإني قد عَجَمْتُ هذا الرجلَ، وحلبتُ أشطُرَه ـ يعني أبا موسى ـ فوجدتُه كَليلَ الشَّفرة، قريبَ القَعْر، وإنه لا يَصلحُ لهذا الأمر إلا رجل يَدنو من صاحبه حتى يكون في كفّه، ويَبعد عنه حتى يكون بمكان النجم منه، فإن شئتَ أن تجعلني حكَماً فافعل، وإلا فاجعلني ثانياً أو ثالثاً؛ فإنه لن يَعقِد عُقدةً إلا حَلَلْتُها، ولن يَحلَّ عُقدةً إلا عقدتُ له أخرى، فإن قلتَ: إني لستُ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاجعلني وزيراً ومُشيراً.

فقال علي: إن القوم قد أبَوا إلا أبا موسى، والله بالغُ أمرِه.

فقال الأحنف للناس: قد أبيتُم إلا عبدَ[3] الله بنَ قيس؟! فأدفِئوا ظهرَه بالرِّجال، فقال أيمن بن خريم الأسدي من أهل الشام وكان معتزلا للفريقين: [من البسيط]

لو كان للقوم رأيٌ يهتدون به بعد القضاءِ رَمَوكم بابن عبَّاسِ

---

(١) في (خ) و (ع): أبي، والخبر في مروج الذهب ٤/ ٣٨٣ـ٣٨٤.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٨٢ وأخرجه من طريق الطبراني، ثم نقل عنه قوله: هذا عندي باطل. وانظر مجمع الزوائد ٧/ ٤٩٢ـ٤٩٣.

(٣) في (خ) و(ع): أبا عبد الله، وهو خطأ.

لكن رَمَوكم بشيخ من ذوي يَمَنٍ لم يَدْرِ ما ضَرْبُ أخماسٍ وأسداسِ[١]

وقال أمير المؤمنين: وإنهم فعلوا ذلك بغير رِضىً منّي.

وقال الجاحظ: قيل لابن عباس ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك في نوبة التحكيم؟ فقال: قد أشرتُ عليه فامتنع؛ لأن الأشعثَ بن قيس ومَن خرج عليه أبَوا ذاك، والله ما منعه إلا حائلُ القَدَر، وقِصَرُ المدّة، ومِحْنَةُ الابتلاء[٢].

رجع الحديث: ثم اجتمعوا بين يدي أمير المؤمنين، وكتبوا كتابَ الصُّلح.

قال أبو مخنف وهشام وغيرهما: وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: اكتبوا اسمَه واسمَ أبيه فإنه أميركم، فأما أميرُنا فلا، فتوقّف الحال، فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، لا تَمْحُ اسم إمارة المؤمنين؛ فإني أخاف إن محوتَها ألا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل بعض الناس بعضاً، والله لقد بايعناك ونحن نعلم أنك أحقُّ بهذا الأمر من جميع الناس، ولو علمنا أن غيرك أحقُّ منك لبايعناه، والله لئن استَنَّيتَ بسُنَّة الكفار لا يرجع إليك هذا الاسم أبداً.

فكان الحسن البصري يقول: لله درُّ الأحنف، قلّما وزن برأيه رأي إلا رجح.

وأقام القوم مليًّا من النهار، ثم قال علي امحه، ثم قال: الله أكبر، سُنَّة بسنة، ومثل بمثل، والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا: لست برسول الله، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسمَ أبيك. فقال عمرو بن العاص: سبحان الله أنُشَبَّه بالكفَّار ونحن مؤمنون أو مسلمون، فقال له أمير المؤمنين: يا ابن النَّابغة، ومتى لم تكن عدوًّا للمسلمين، أو ومتى لم تكن للفاسقين وليًّا، وللمسلمين عدوًّا، وهل تُشبه إلا أمّك التي دفعت بك؟ فقال الأشتر: دعني أضربْ عُنقَ عدوِّ الله، فقال علي: دَعْه، فقام عمرو قائماً وقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم، فقال أمير المؤمنين: إني لأرجو أن يُطَهِّر الله مجلسي منك ومن أشباهك، وكتبوا الكتاب.

---

(١) الأخبار الطوال ١٩٣، ووقعة صفين ٥٠٢.

(٢) ذكره المسعودي في مروج الذهب ٥/ ٢٣٢_٢٣٣ دون نسبة.

وذكر الطبري[١] عن الحسن قال: أخبرني الأحنف أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين أن: امْحُ هذا الاسم إن أردتَ أن يكون بيننا صُلْح، فاستشار عليّ بني هاشم، فقال له الأحنف ما قال.

وفي رواية هشام: فأُخبر معاوية فقال: بئس الرجل أنا إن أقررتُ أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف قال: فكتبوا الكتاب وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومَن معه من شيعته من المسلمين والمؤمنين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومَن معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين؛ أنهما نزلا على حكم الله وكتابه، يُحييا ما أحيا، ويُميتا ما أمات، فما وَجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وعمرو بن العاص القرشي - عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله ففي السنة العادلة الجامعة غير المفرِّقة[٢]، والحكمان أمينان على أنفسهما والأمة، وقد وَضعا السلاح بينهما إلى مدة وأجل وهو رمضان، ثم يحكمان بين هذه الأمة، ولا يَرُدَّاها في حرب ولا فُرقة، وإن أحبا أن يُؤخِّرا الأجل عن تراضٍ منهما فعلا، وإن مكان قَضيّهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين الكوفة والشام، ولا يحضرهما إلا من أرادا.

ثم شهد الشهود على ذلك: الأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمْداني، وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين، ومن أصحاب معاوية: أبو الأعور السُّلَمي، وحبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وعتبة بن أبي سفيان.

وذكر أبو مخنف كلاماً طويلاً اختصرتُه.

وقال ابن إسحاق: كان في الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي ومعاوية وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يقفا عند حكم القرآن، فإن لم

(١) في تاريخه ٥/ ٥٣.

(٢) في (خ): المتفرقة، والمثبت من الطبري ٥/ ٥٣.

يجدا ففي السنة... وذكر بمعنى ما تقدم، وقال: فإن تُوفّي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة؛ فلشيعته أن يختاروا مكانَه رجلاً ممن يَرْضَون به من أهل الصلاح والعدل ... وذكر كلاماً طويلاً.

وذكر أنه كان من شهود الكتاب من أصحاب أمير المؤمنين: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفيّة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسهل بن حُنَيف، وعقبة بن عامر الجُهَنيّ، ورافع بن خَديج الأنصاري، وعمرو بن الحَمِق، وحُجْر بن عديّ الكنديّ، وذكر جماعة آخرين منهم الأشتر، وهو وَهْم لأن الأشتر ما حضره.

قال: ومن أهل الشام: حَبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وأبو الأعور السُّلَميّ، وبُسْر بن أرطاة القُرشيّ، ومعاوية بن خَديج الكِنديّ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعُتبة ومحمد ابنا أبي سفيان أخوا معاوية، وذكر جماعة آخرين، وكُتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة [ليلة] بقين من صفر سنة سبع وثلاثين، وإنْ رأيا لم يجتمعا في رمضان في هذا العام أن يُؤخّرا ذلك العام القابل فعلا[١].

قلت: وهذه الرواية أحسن من رواية أبي مخنف؛ لأن هؤلاء أعيان الفريقين.

رجع الحديث إلى أبي مخنف قال: لما كتب الكتاب دعا علي الأشتر فقال: اشْهَد، فقال: لا صَحبتني يميني، ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صُلح ولا موادَعة، أو لست على بيّنة من ربي، [ويقين] من إضلال عدوّي، أو لستم قد رأيتم الظَّفَر، أو لم تُجمعوا على الحق؟ فقال الأشعث بن قيس: والله إنك ما رأيت ظَفراً ولا خَوَراً، هلُمَّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنّا، فقال الأشتر: بلى والله إن الرغبة عنك في الدنيا والآخرة، ولقد سَفَك الله بسيفي هذا دمَ رجالٍ ما أنت خيرٌ منهم عندي، ولا أحرَمُ دماً، فسكت الأشعث.

وقال أبو مِخنف: وخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم، حتى مرَّ بطائفةٍ من بني تميم؛ فيهم عُروة بن أُدَيَّة، وهو أخو أبي بلال، فقال

(١) الأخبار الطوال ١٩٤ـ١٩٦، ووقعه صفين ٥٠٤ـ٥٠٨، وما بين حاصرتين منهما.

عُروة: أتُحكِّمون في أمر الله الرجال؟! ثم شدَّ بسيفه فضرب عَجُز دابّة الأشعث ضربةً خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح به أصحابه أن املك يدَك، ثم اعتذر أصحاب عروة وسادات بني تميم إلى الأشعث فقبل وصفح.

وقال الواقدي: خرج الأشعث بالكتاب فجعل يمرُّ به على القبائل، فقال أخوان من عَنَزَة ـ اسم أحدهما جعدة والآخر مَعْدان: لا حُكْمَ إلا لله، ثم شَدّا على أهل الشام، فقاتلا حتى قُتلا، فهما أول من حكَّم.

ثم مرّ على رايات مُراد، فقرأه عليهم، فقال صالح بن سفيان[1] وكان من أفاضلهم: لا حُكم إلا لله وإن كره المشركون، ثم مرّ الأشعث على رايات بني راسِب فتنادَوا: لا حكم إلا لله.

وقال ابن إسحاق: قال عروة بن أدَيَّة: أتُحكِّمون في دين الله [الرجال]؟! فأين قتلانا يا أشعث، ثم حمل عليه بسيفه فأخطأه.

وجاء مُحرِز بن حُبَيْش[2] إلى علي، فقال له: أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل، أما والله إني لخائف أن يُورثَك ذُلاً، قد انتقضت القبائل عليك، فقال علي: أبعد أن كتبناه نَنقُضُه كيف يجوز ذلك؟!

وقد ذكرنا أن تاريخ الكتاب في صفر، وأن يكون اجتماع أمير المؤمنين ومعاوية في رمضان، ومع كلّ واحد منهما نَفَرٌ يسير من أصحابه، إما بدَوْمَة الجَنْدل، أو بأَذْرُح، ومع كلِّ واحد خمس مئة أو أقل، ورحل معاوية إلى الشام بالألفة من أهل الشام، ورحل أمير المؤمنين إلى العراق بالاختلاف والافتراق.

وقد حكى ابن سعد طرفاً من هذا فقال: ثم خرج علي يريد معاوية ومن معه من أهل الشام، فالتقوا بصفّين في صفر سنة سبع وثلاثين، فلم يزالوا يقتتلون بها أياماً. وقُتل بصفين عمار بن ياسر، وخُزَيمة بن ثابت، وأبو عَمْرة المازني، وكانوا مع علي.

قال ابن سعد: ورفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن

---

(١) في الأخبار الطوال ١٩٧: شقيق.

(٢) في الأخبار الطوال ١٩٧: خُنيس، وفي وقعة صفين ٥١٩: جريش.

العاص، أشار بذلك على معاوية وكان معه، فكره الناس الحربَ، وتداعو إلى الصُّلح، وحكَّموا الحكمين، فحكّم علي أبا موسى، وحكّم معاوية عمراً، وكُتب بينهم كتاب على أن يوافوا رأسَ الحَوْل بأذْرُح، فينظرون في أمر هذه الأمة، فافترق الناس؛ فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والدَّغَل، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومَن كان معه(١). وسنذكر تمامه في موضعه.

ذكر عدد الفريقين ومَن قُتل منهم

حكى جدّي رحمه الله في «المنتظم»(٢) عن أبي الحسن بن البراء قال: قُتل بصفّين سبعون ألفاً؛ خمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، وخمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، فمن أصحاب أمير المؤمنين خمسة وعشرون بدريّاً، وكان المقام بصفّين مئة يوم وعشرة أيام، وكان فيه تسعون وقعة.

وحكى عن سيف أنه قال: أقاموا بصفين تسعة ـ أو سبعة ـ أشهر، وكان القتال بينهم سبعين زَحْفاً، وقُتل في ثلاثة أيام سبعون ألفاً من الفريقين.

قال: وقال الزهري(٣): بلغني أنه كان يُدفن في القبر الواحد خمسون رجلاً.

قال: وقال ربيعة بن لَقيط: مطرت السماء عليهم دماً كانوا يأخذونه بالآنية.

وقال أبو اليقظان: سار أمير المؤمنين إلى صفين في تسعين ألفاً، ومعاوية في عشرين ومئة ألف.

وقال هشام: قُتل عمار في صباح ليلة الهَرير ومَن معه.

وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع علي من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وتسعون صحابياً ممن شهد بيعة الرضوان.

قال: وكان بينهم سبعون وقعة، وربما اقتتلوا في اليوم مرتين، وقُتل من أصحاب

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠.

(٢) ٥/ ١٢٠.

(٣) في (خ): الجوهري، وهو خطأ، والمثبت موافق للمنتظم ٥/ ١٢٣.

معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وذو كلاع وغيرهما. وسنذكرهم في آخر السنة.

وقال أبو مخنف: حدثني فُضَيل بن خَديج قال: قيل لعلي عليه السلام بعدما كُتبت الصحيفة: إن الأشتر لا يُقرُّ بما فيها، ولا يرضى إلا بالقتال، ولا يرى غيره، فقال علي عليه السلام: وأنا والله ما رضيتُ، ولا أحببتُ أن ترضَوا، فأما إذا أبيتم إلا الرِّضا فقد رضيتُ، ويا ليت لي فيكم مثل الأشتر اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرى، وقد نهيتُكم عما أتيتم فعصيتموني، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن: [من الطويل]

فهل أنا إلّا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَويتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

ثم أمر أمير المؤمنين الحارث الأعور فنادى في الناس بالرَّحيل[1].

ذكر رجوع أمير المؤمنين إلى الكوفة

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جُندب، عن أبيه قال: لما انصرفنا مع أمير المؤمنين من صِفّين أخذ غير الطريق الذي أقبل منه، فسلك على شاطئ الفرات، فانتهى إلى هِيْت، ثم أخذ على صَنْدُوداء، فخرج إليه الأنصاريُّون بنو سعد بن حرام فاستقبلوه، وعرضوا عليه النُّزول، فبات بهم.

ثم سار نحو النُّخَيلَة، ولاحت له بيوت الكوفة؛ وإذا بشيخ جالسٍ في ظلِّ بيت، على وجهه آثار مرض، فسلّم عليه علي فردَّ ردًّا حسناً ظننا أنه قد عرفه، فقال له: أرى على وجهك آثار المرض فلعلك كرهتَه؟ قال: ما أحبُّ أنه بغيري، قال: فمن أنت؟ قال: صالح بن سُلَيم، والأصل من سَلامان، فقال: ما أحسن اسمَك واسم أبيك ومَن اعتزيتَ إليه، ثم قال: هل شهدتَ غَزاتنا هذه؟ قال: والله قد أردتُ ذلك، ولكن منعني المرض، فقرأ أمير المؤمنين ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾[التوبة: ٩١] ثم قال له علي: أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المَسْرور بما كان بينك وبينهم، وأولئك أغشاء الناس، وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك، وأولئك نُصحاء الناس، فدعا له علي وجزاه خيراً وقال: جعل الله ما كان من مرضك حَطًّا لسيئاتك. وذكر ألفاظاً أُخر.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٩، والبيت لدريد بن الصمة، وهو في ديوانه ٤٧ .

قال: ثم سار غير بعيد، فلقيه عبد الله بن وَديعةَ الأنصاري، فسلّم عليه، ودنا منه وسايره، فقال له: ما تقول الناس في أمرنا؟ فقال: منهم المُعجَب به، ومنهم الكاره، كما قال الله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨]، قال: فما قول ذوي الرأي منهم؟ قال: يقولون: إن علياً كان له جمعٌ عظيم ففرَّقه، وكان له حِصنٌ حصينٌ فهَدَمه، حتى متى يبني ما هَدم، وحتى متى يجمع ما قد فرّق، فلو أنه كان يمضي بمَن أطاعه فيقاتل مَن عصاه حتى يَظهر أو يَهلك لكان ذلك الحزم.

فقال علي: والله لقد هممتُ بالإقدام، ووطّأتُ نفسي على الموت، فنظرتُ [إلى هذين] قد ابتَدراني ـ يعني الحسن والحسين ـ ونظرتُ إلى هذين قد استَقْدماني ـ محمد ابن الحنفيّة وعبد الله بن جعفر ـ فعلمتُ أن هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ إن يهلكا انقطع نَسْلُ محمد ﷺ من هذه الأمة، فكرهت ذلك، وايم الله لئن لقيتُهم بعد اليوم لا يكون معي أحدٌ منهم(١).

وفي رواية أن علياً قال: والله ما هدمتُ ولا فرّقتُ، هم هدموا وفرّقوا، ولقد هممتُ أن أقاتل بمن أطاعني مَن عصاني، حتى رأيتُ هذين الغلامين يتقدّماني ـ يعني: الحسن والحسين ـ وذكر بمعناه وقال: والله لا بكياني(٢) في عسكر أبداً.

رجع الحديث إلى أبي مخنف، قال جندب: ثم مضى حتى إذا جاوزنا دورَ بني عَوْف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال علي: ما هذه القبور؟ فقال قدامة ابن عجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين، إن خَبّاب بن الأرَتّ توفّي بعد مَخرجك، فأوصى أن يُدفن في الظَّهْر، ودفن الناس إلى جنبه، فقال: رحم الله خباباً، لقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسده أحوالاً، ولن يُضيع الله أجرَ مَن أحسن عملاً، ثم جاء حتى وقف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المُقْفِرة، أنتم لنا فَرَطٌ، ونحن لكم تَبَع، ونحن عما قليل بكم لاحقون، ثم دعا لهم.

قال أبو مخنف: ثم أقبل حتى حاذى سِكّة الثوريّين، فسمع البكاء فقال: ما هذه

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٠ـ٦١.

(٢) لم ينقط من الكلمة في (خ) غير النون والياء.

الأصوات؟ قيل له: البكاء على قتلى صِفّين، فقال: أما إني أشهد لمن قُتل منهم صابراً مُحتسباً بالشهادة.

قال: وسمع رجلاً من العُثمانية يقال له عبد الرحمن بن يزيد يقول: والله ما صنع علي شيئاً، ذهب ثم عاد في غير شيء، فقال علي لأصحابه: إن قوماً فارقناهم آنفاً خيرٌ من هؤلاء، ثم أنشد علي وقال: [من الطويل]

أخوك الذي إنْ أجْرَضَتْك مُلِمَّةٌ ... من الدهر لم يَبرحْ لها الدهرَ واجِما
وليس أخوك بالذي إن تَشَعَّبتْ ... عليك أمورٌ ظلَّ يَلْحاك لائما

ثم لم يزل يذكر الله تعالى حتى دخل القصر(١).

ذكر اعتزال الخوارج أمير المؤمنين

روى أبو مخنف، عن أبي جَناب الكلبي، عن عمارة بن ربيعة قال: خرجوا مع علي عليه السلام إلى صفين وهم مُتوادُّون أحبّاء، فرجعوا وهم مُتباغضون أعداء، ما بَرِحوا من عسكرهم حتى فشا فيهم التّحكيم وهم بصفّين، ثم أقبلوا إلى الكوفة وهم يتشاتمون، ويضرب بالسِّياط بعضهم بعضاً، تقول الخوارج: يا أعداء الله، داهنتم في أمر الله، وحكّمتم الرجال في دين الله، ويقول الآخرون: خالفتم إمامَنا، وفارقتم جماعتنا.

فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حَرُوْراء، فنزلوا بها، وهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إن أمير القتال شَبَث بن رِبعيّ التَّميميّ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكَوّاء اليَشكُريّ، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الجوهري: وحَرُوراء: قريةٌ على النَّهْرَوان، تُمدُّ وتُقْصَر، وتُنسب إليها الخوارج، نزلوها وقالوا: لا حكم إلا لله(٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢-٦٣، ووقعة صفين ٥٣٠-٥٣٢.

(٢) في الصحاح (حرر): حروراء: اسم قرية، يُمد ويُقصر، نسبت إليها الحرورية من الخوارج، لأنه كان أول مجتمعهم بها، وتحكيمهم منها. اهـ.

وبلغ أمير المؤمنين فقال: كلمةُ حقّ أُريد بها باطل.

وذكر هشام أن الخوارج لما اعتزلت علياً عليه السلام وحكَّموا كلَّمهم علي، فرجعوا إلى الكوفة، وهو الأصحُّ لما نذكر.

رجع الحديث إلى أبي مخنف، عن أبي جَناب، عن عُمارة قال: لما قدم أمير المؤمنين الكوفة وفارقه الخوارج؛ وثَبتْ إليه الشّيعة وقالوا: في أعناقنا لك بيعة ثانية، نحن أولياءُ من واليت، وأعداءُ من عاديت، فقالت الخوارج: استَبَقْتُم أنتم وأهل الشام كفَرَسَيْ رِهان إلى النار، بايع أهلُ الشام معاوية على ما أحبُّوا وكَرِهوا، وبايعتم أنتم عليًّا أنكم أولياءُ مَن والى ، وأعداءُ من عادى، فقال لهم زياد بن النَّضْر: والله ما بسط علي يده فبايعنا قطّ إلا على كتاب الله وسنّة نبيِّه محمد ﷺ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعتُه فقالوا: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء مَن عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ، ومن خالفه ضالٌّ مُضِلّ.

والصّحيح من الروايات أن الخوارج لما اعتزلوا علياً عليه السلام دخلوا الكوفة، ورجعوا إليها، وبعد ذلك مَضوا حتى نزلوا النَّهْرَوان، ولما بلغهم أن شيعة أمير المؤمنين قالوا: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء مَن عاديت، راسلوهم بالكلام الذي ذكرناه.

وقيل: إنه بقي منهم بقية معه في الكوفة؛ طائفة يسيرة، والأول أصح.

واختلفت الرّواية هل أرسل إليهم علي رسولاً، أم خاطبهم بنفسه على قولين؛ أحدهما ذكره هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما اعتزلوا عسكر علي عليه السلام، وهمُّوا بالرحيل؛ وقف عليهم علي فقال: لَمَ خرجتم علينا؟ فقالوا: لأنك حكَّمت في دين الله بصفِّين، فقال لهم: نَشَدتكم الله، أما قلتُ لكم يومَ رفعوا المصاحف: لا تخالفوني فإنهم إنما رفعوها مَكيدةً وخَديعة، فردَدْتُم عليّ رأيي، وقلتم نفعل بك كما فعلنا بعثمان؟! فقالوا: نحن إنما رضينا بحكم كتاب الله، لا بحكم الرجال، فقال: والله ما حَكَّمتُ مَخلوقاً، وإنما حكَّمتُ القرآن، لأن القرآن لا ينطق، وإنما هو خطٌّ مَسطور بين الدَّفَّتَيْن، وإنما ينطق به الرجال، وشرطت على الحكمين أن يَحكُما بحُكم

الله، فيُحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بغير ذلك فنحن من حُكمهما براء. قالوا: فلِم جعلتَ بينك وبينهم أجلاً؟ قال: لعل الله أن يَحقِن به دماءَ هذه الأمة، فيتثبَّت العالم، ويتعلّم الجاهل، قالوا: فنحن قد أخطأنا، ونحن نتوب إلى الله، وكان ذلك كفراً منا، فاعترف كما اعترفنا نبايعْك، وإلا فنحن مخالفوك. فرجع عنهم، ورحلوا إلى النهر.

والقول الثاني: أنه بعث إليهم عبد الله بن عباس، ثم خرج إليهم بعد ذلك، وهو الأصح.

وقال أبو اليقظان: لما انقضى الأجل بعث معاوية إلى أمير المؤمنين بمَعْن بن يزيد ابن قيس الأسلمي(١)؛ يستبطئه في إرسال الحكم، فجهَّز شُريح بن هانئ، وابنَ عباس وأبا موسى على ما ذكرنا.

قال: ولما فصلوا عن الكوفة دخل على علي عليه السلام جماعة من الخوارج؛ منهم حُرْقوص بن زهير السَّعديّ، وزُرْعَة بن بُرْج الطائي فقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: نعم لا حكم إلا لله، قالوا: فتب إلى الله من خطيئتك، أو اخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربَّنا، فقال لهم: قد أردْتُكم على هذا فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عُهوداً، وقد قال الله تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل: ٩١]، فقال حُرقوص: فذلك ذَنبٌ ينبغي أن تتوبَ منه، فقال: ليس هو بذنب، وإنما هو من عَجز الرأي، وضعفٍ في العقل، وقد نهيتُكم عنه، فقال له زُرْعة: أما والله لئن لم تَدعْ تحكيمَ الرجال لنُقاتلنَّك؛ ونطلب بذلك وجهَ الله ورضوانه، فقال له علي: بُؤساً لك، ما أشقاك، كأني بك والله قتيلاً تَسْفي عليك الرِّياح، فقال له زُرعة: وَددتُ أن ذلك كان في ذات الله، فقال له علي: لو كنتَ محقاً لكان في الموت تَعزِيةٌ عن الدنيا، وإنما الشيطان قد استهواكم. فخرجوا من عنده وهم يقولون: لا حُكم إلا لله.

(١) كذا، وفي الطبري ٥/ ٦٦: معن بن يزيد بن الأخنس السُّلَمي. وقد ذكر في وقعة صفين ٢٠٠، والأخبار الطوال ١٧٠ في أصحاب معاوية: معن بن يزيد بن الأخنس السلمي.

حديث الخوارج

واختلفوا فيه، وقد ذكرنا عن أبي مخنف أن الخوارج دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا: لا حُكم إلا لله، وأنه قال: كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل، وقولهم: تُب من خطيئتك، واخرج بنا إلى القوم فقاتلْهم، وقوله: إنا عاهدْنا القوم عُهوداً، وقد قال الله ﴿وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، فقال له حُرْقُوص بن زهير السَّعدي: ذلك ذَنْبٌ ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو ذنب، ولكنه عَجْزٌ من الرّأي، وضَعْفٌ في العقل، وقد نهيتُكم عنه، وأنهم خرجوا من عنده وهم يقولون: والله لَنُقاتلَنّك نطلب بذلك وجهَ الله، وكان القائل لهذا زُرْعَة بن البُرْج الطائي، فقال علي: كأني بك والله قتيلاً تسفي عليك الرّياح[١].

وقال أبو مخنف عن أشياخه قالوا: لما بعث علي أبا موسى لإنفاذ الحكم اجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ، فخطبهم وقال: ما ينبغي لقومٍ يؤمنون بالرحمن، وينيبون إلى حكم القرآن؛ أن يرضوا بهذه الأحكام، فاخرجوا بنا من هذه القرية الظَّالمِ أهلُها إلى جانب هذا السَّواد، أو إلى بعض كُوَر الجبال، أو إلى بعض الأماكن، منكرين لهذه البِدَع المُضِلّة، والأحكام الجائرة، ثم زهَّدهم في الدنيا، ورَغَّبهم في الآخرة، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأمرهم بقول الحق.

فقال حُرقوص بن زهير السَّعدي بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وَشيك، فلا تَدْعُونّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، فإن الله مع الذين اتقَوْا والذين هم مُحسنون.

فقال حمزة بن سنان: يا قوم، إن الرأيَ ما رأيتم، وإن الحقّ ما ذكرتُم، فولُّوا أمرَكم هذا رجلاً منكم، فإنه لا بُدَّ لكم من عِماد وسند، وراية تَحفُّون بها وترجعون إليها، فعرضوا ذلك على رؤسائهم: زيد بن حُصَين الطائي، وحُرقوص، وحمزة بن سِنان، وشُرَيح بن أَوفى[٢]، فأبى كلُّ واحد، فقال عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ: أما والله لا آخُذها

(١) من قوله: تسفي عليك الرياح، في الصفحة السابقة، إلى هنا ليس في (خ).

(٢) في (خ): بن أبي أوفى، وهو خطأ.

رَغبةً في الدنيا، ولا [أَدَعُهما] فَرَقاً من الموت، فقبلها. وهذه رواية أبي مخنف[١].

وأما ابن إسحاق والواقدي وأبو مَعْشر فذكروا بمعناه، وأن يَجتمعوا عند عبد الله بن وَهب الرَّاسِبيّ، فاجتمع عنده عظماؤهم وعُبَّادُهم، فقال عبد الله بن وهب بمعنى ما تقدّم، وفيه: فاخرجوا بنا مُنكرين لهذه الحكومة، فإنه لا حُكمَ إلا لله.

وقال حَمزة بن سِنان: لا بدَّ لكم من قائد وسائس وراية تحفُّون بها، فعرضوها على مَن سَمَّينا، فأبَوا قبولها لعبادتهم وزُهدهم، فقال عبد الله بن وهب: هاتوها لا رغبةً في الدنيا، ولكن لما أرجوه من عِظم الأجر، فمدّ يده فأخذها، فقاموا إليه فبايعوه.

وكان عبد الله بن السَّخبر[٢] حاضراً، وكان من أصحاب البَرانِس، فبكى وقال: لحا الله امرءاً لا يكون تشريحُ ما بين عظمه ولحمه وعَصَبه أيسرَ عنده من سَخَطِ الله عليه، وأنتم إنما تريدون وجه الله، فاضربوا مَن عصاه بالسيوف، حتى يُطاع الله تعالى. ثم ذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى.

ذكر كتابهم إلى البصرة

قال علماء السير ممّن سَمَّينا: كتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن وَهب، وزيد بن الحُصَين، وحُرْقوص بن زهير، وشُرَيح بن أوفى، إلى مَن بلغه كتابُنا من المؤمنين؛ سلامٌ عليكم، فإنه يُحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي [جعل] أحبَّ عباده إليه أعلمَهم بكتابه، وأقْوَمَهم بالحقّ في طاعته، وأشَدَّهم اجتهاداً في مرضاته، إن أهل دعوتنا حَكَّموا الرجال في أمر الله، ورَضوا بحكم الفاسقين على عباد الله، وكفروا بذلك وضلُّوا عن السبيل، وقد نابَذْناهم على سواء، إن الله لا يحبُّ الخائنين، وقد خرجنا إلى الجِسْر؛ نُريد بذلك الوسيلة إلى الله والقُربة ليرضى عنا، فسيروا إلينا لتأخذوا نصيبكم من الأجر والثواب، وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، وقد بعثنا بكتابنا هذا إليكم مع رجل من إخوانكم، ذي دين وأمانة، فسَلوه عما

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٧٤-٧٥، وما بين معكوفين منه.

(٢) في تاريخ الطبري ٥/ ٨٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٥٢: عبد الله بن شجرة السلمي، والمثبت موافق لما في الأخبار الطوال ٢٠٣، والنقل عنه.

أحببتم، واكتبوا إلينا بما أردتُم، وما أفضى إليه رأيُكم والسلام.

ثم دعَوا عبد الله بن مَعْبَد العبسي ـ وقيل: عبد الله بن سعد ـ فبعثوه بالكتاب وقالوا: سِرْ حتى تَقدم به على إخواننا بالبصرة، فسار إلى البصرة.

قال ابن إسحاق: وخرجوا من الكوفة بعد الكتاب متفرِّقين، وخرج زيد بن الحُصَين على بَغلةٍ يقود فرساً له بعد العتمة.

وقال أبو مخنف: كان بدءُ خروجهم من منزل حُرقوص بن زهير، وهي ليلة الخميس، وقيل: ليلة السبت، لأنهم قالوا: ما تفوتُنا الجمعة، فإن قيل: فإنهم ما كانوا يرون إمامةَ أمير المؤمنين قلنا: ما قاموا الجمعة مع أمير المؤمنين؛ وإنما كانوا يرون يوم الجمعة أفضل الأيام، فيزدادون فيه عبادة وصلاة فُرادى أو في جماعتهم، قيل: وخرجوا ليلة السبت، وجاء بنو عمِّ شُرَيح بن أوفى ليمنعوه، فانتَضى سيفَه وقال: والله لئن عَرض لي أحدٌ منكم لأضربنّه بسيفي، فقالوا: أبعدك الله، إنما أشفَقْنا عليك، فأما إذ أَبيتَ إلا هَلاك نفسِك فأنت أبصر، فخرج فلحق بالقوم.

قال: وخرج زيد بن حُصَين الطائي راكباً على بغلة، يقود فرساً له بعد العَتَمة وهو يتلو: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[القصص: ٢١-٢٢]، وخرج القعقاع بن نَفْر بن قيس بن جَحْدَر الطائي، فجاء أخوه تميم[١]، فاستغاث بقومه فحبسوه، وخرج عبد الله بن حكيم البَكّائي فاتّبعه عبد الله بن الطُّفَيل ويزيد بن معاوية[٢]، فهدَّداه فرجع.

قال: وخرج زيد بن عديّ بن حاتم الطائي معهم، فخرج أبوه في طلبه وعاد، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين، إن ابني خرج مع القوم، وكان الذي أفسده عليّ وفَرَّق بيني وبينه زيد بن حُصَين الطائي، وإني اتَّبعتُه حتى انتهيتُ إلى المدائن، فلم أقدر عليه فانصرفت، فلما انتهيتُ إلى ساباط لقيتُ عبد الله بن وهب في نحوٍ من عشرين، مقنّعين بالحديد، فاعتزلتُهم ووقفت جانباً، فنزلوا على شطّ النهر، ولستُ آمَنهم أن يَدخلوا المدائن، فابعث إلى عاملك عليها سعد بن مسعود فحذِّرْه لا يَبغتوه. فبعث علي زيادَ بنَ

(١) كذا، والذي في أنساب الأشراف ٢/ ٢٥٦: حكم بن نفر، وهو جد الطرماح بن حكيم.

(٢) كذا.

لَأُم إلى سعد بن مسعود فحذَّره، وقيل: إنما حذّر سعد بنَ مسعود عديُّ بنُ حاتم.

قال هشام: ولما خرج عبد الله بن وهب من الكوفة بالليل انضاف إليه جمعٌ كبير، فأخذوا على الأنبار، وتبطَّنوا شطَّ الفرات، حتى عبروا من دَيْر العاقول، فاستقبلهم عديّ بنُ حاتم وقد عاد من المدائن، فأراد عبد الله أخذَه؛ فمنعه منه عمرو بن مالك النَّبهاني وبشير بن يزيد البَوْلاني[1]؛ وكانا من رؤوس الخوارج، واستخلف سعد بن مسعود على المدائن ابنَ أخيه المختار بن أبي عبيد، وخرج في طلب عبد الله بن وهب في خمس مئة فارس، والخوارج ثلاثون رجلاً، فتناوَشوا ساعة، فقال أصحاب سعد لسعد: أيها الأمير، ما تُريد من هؤلاء وقتالِهم، ولم يأتك فيهم أمر، خلِّهم واكتب إلى أمير المؤمنين، وأخبره بحالهم، فمضى وتركهم. وسار عبد الله بن وهب إلى موضع بغداد، فعبر في معبرها إلى أرض جُوخى، وذلك قبل أن تُبنى بغداد.

جواب كتاب الخوارج

من أهل البصرة إلى أصحابهم من أهل الكوفة، أما بعد: فقد بلغنا كتابُكم، وفهمنا ما فيه، فهنيئاً لكم الرأي الذي جمعكم الله عليه؛ من إنكار المنكر والجَور، ونحن سائرون إليكم والسلام.

ثم خرجوا من البصرة في خمس مئة رجل، وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن عباس، فبعث أبا الأسود الدِّيْليّ في طلبهم في ألف فارس، فلحقهم بجسر تُسْتَر، وحال بينهم الليل ففاتوه، وكانوا في مسيرهم لا يَلْقَون أحداً إلا سألوه عن الحكَمَيْن، قالوا: ما تقول فيهما؟ فإن تبرَّأ منهما تركوه، وإن أبى قتلوه، ثم أقبلوا إلى النهر، فنزلوا به عند إخوانهم.

وقال أبو مخنف: لما خرجت الخوارج على علي أتاه أصحابه وشيعته، فبايعوه على التَّسليم، وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وكتب عليهم كتاباً، وشرط فيه سنة الله وسنة رسوله، وجاءه رجل من خَثْعَم، يقال له: ربيعة بن أبي شَدَّاد ـ وكان قد شهد الجمل وصفّين مع علي، ومعه راية خَثْعَم ـ فقال له علي: بايع على

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ٧٥: بشر بن زيد البولاني، والمثبت موافق للأخبار الطوال ٢٠٥.

كتاب الله[١] وسنّةِ رسوله، فقال: بل أبايعك على سنَّة أبي بكر وعمر، فقال له: وَيْحك، لو أن أبا بكر وعمر عَمِلا بغير سنُّة الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء من الحقّ، فبايعَ بعد شدّ[٢]، فنظر إليه علي عليه السلام نظرة وقال: أما والله كأني بك قد نَفرتَ في بعض هذه الفتن نَفْرة، فقتلت فَوُطئت بحوافرها[٣]. فقُتل يوم النَّهر مع الخوارج، وكانت خوارج أهل البصرة قد أمّرت عليها مِسْعَر بن فَدَكي.

ذكر كتاب أمير المؤمنين إلى الخوارج

قال علماء السير ممّن سمينا كأبي مخنف وغيره: كتب إليهم علي عليه السلام: من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن وهب وزيد بن حُصَين ومَن قبلهما من الناس؛ سلام عليكم، أما بعد: فإن الرجلين اللذين ارتضيناهما للحكومة قد خالفا كتاب الله، واتَّبعا أهواءهما بغير هُدى من الله، فلم يَعملا بالسنّة، ولم يُنَفِّذا للقرآن حكماً، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوّكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه، فنحاربهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فكتبوا إليه: أما بعد، فإنك لم تغضب لربّك، وإنما غضبتَ لنفسك، فإن شهدتَ على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة بيننا وبينك، وإلا فقد نابَذْناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين[٤].

وفي رواية: فإن شهدتَ على نفسك أنك كفرتَ فيما كان من تحكيمك الحكَمَين، واستأنفْتَ التوبةَ والإيمان؛ نظرْنا فيما سألتَنا من الرجوع إليك، وإن تكن الأخرى فإنا نُنابِذُك على سواء، إن الله لا يهدي كَيدَ الخائنين[٥].

(١) في (خ): على سنة كتاب الله، والمثبت من تاريخ الطبري ٥/ ٧٦
(٢) في (خ): شر.
(٣) في الطبري: وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٧٧ـ٧٨.
(٥) الأخبار الطوال ٢٠٦.

فلما قرأ كتابهم يَئس منهم، ورأى أن يَدَعهم ويمضي بالناس إلى الشام، فيناجز معاوية وأهل الشام، فعسكر بالنُّخَيْلَة، ثم خطب فقال: أما بعد، فإن مَن ترك الجهاد في الله، وداهن في أمره؛ كان على شفا هَلَكَة، إلا أن يَتداركَه الله عز وجل بنعمته، فقاتلوا من حادَّ اللهَ ورسولَه، وحاول أن يُطفئ نورَ الله، فقاتلوا الخاطئين الضالّين، الفاسقين الناكثين الغادرين، الذين ليسوا بقُرَّاء القرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة ولا إسلام، والله لو وَلُوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، فهيِّئوا للتَّشْمير[1] إلى عدوكم.

ثم بعث إلى جميع الأمصار ليَقدموا عليه، فلما قدم كتابُه على ابن عباس قام فخطب بالبصرة، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس، فشَخص منهم ألف وخمس مئة، فقال ابن عباس: ويلكم يا أهل البصرة، جاءني أمرُ أمير المؤمنين بإشخاصكم، فنفر منكم ألف وخمس مئة، وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم؟! ألا انفروا[2] مع جارية بن قُدامةَ السَّعدي، ولا يَجعلنّ رجلٌ على نفسه سبيلاً، فإني مُوقِعٌ بكل مَن وجدتُه متخلِّفاً عن دعوته، عاصياً لإمامته، ولأفعلنّ ولأصنعن.

وخرج جارية فعسكر بظاهر البصرة، وحشد أبو الأسود الناس، فاجتمع إلى جارية ألف وسبع مئة، ثم صاروا ثلاثة آلاف ومئتي رجل.

وقال هشام: بعث علي عليه السلام إلى ابن عباس بكتابه مع عُتبة بن الأَخْنَس بن قَيْس، فأمره بتجهيز الجيوش ... وذكره.

ثم أقبل جارية حتى وافى أمير المؤمنين بالنُّخَيْلَة، فقام علي خطيباً فقال: يا أهل الكوفة، أنتم أنصاري وإخواني، وأعواني على الحق، وبكم أضربُ المُدْبِر، وأرجو تمامَ طاعة المُقْبِل، وقد استنفرتُ أهلَ البصرة، فلم يأتني سوى ثلاثة آلاف رجل ومئتي رجل، فأعينوني بمُناصَحَةٍ خَلِيَّةٍ من الغشّ، إنكم عند مخرجنا إلى صفين ستجمعوا بأجمعكم[3]، وأن تكتبوا إلي بعشائركم وأموالكم، يفعل ذلك كلّ رئيس منكم.

(١) كذا، وفي الطبري ٥/ ٧٨: تهيئوا للمسير إلى عدوكم.

(٢) في (خ): الا تنفروا، والمثبت من الطبري ٥/ ٧٩.

(٣) كذا، وفي الطبري ٥/ ٧٩: إنكم ... مخرجنا إلى صفين، بل استجمعوا بأجمعكم. اهـ. ومكان النقاط بياض =

فقام سعيد بن قيس الهمْدَاني فقال: يا أمير المؤمنين، سمعاً وطاعة، أنا أول الناس جاءك بما طلبتَ، وقام رؤساءهم مثل: مَعْقِل بن قيس الرِّياحي، وعَدي بن حاتم الطائي، وزياد بن خَصَفة، وحُجْر بن عدي، وأشراف القوم فقالوا مثل ذلك.

ثم كتبوا المقاتلة، فكانوا أربعين ألفاً، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء، وثمانية آلاف من الموالي، فكان جمع الكوفة خمسة وستين ألفاً، غير جمع البصرة الذين سميناهم، فصاروا ثمانيةً وستين ألفاً ومئتين وهو بالنُّخَيلة.

وقال الواقدي: اجتمع إليه رؤوس الأسباع والقبائل، وذكر مَن سَمَّينا، وتركوا الضعفاء من الموالي في أعمالهم.

وقال أبو مخنف: بلغ علياً عليه السلام أن الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحروريّة فبدأ بهم، فقال: أما بعد، فقد بلغني قولكم، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذِكرهم، وسيروا إلى عدوّكم.

فتنادى[1] الناس من كل جانب: يا أمير المؤمنين، سِرْ بنا حيث أحببتَ.

وقال له صيفي بن فَسيل الشيباني: يا أمير المؤمنين نحن حِزبُك وأنصارك، نُعادي مَن عاداك، ونُشايع مَن أطاعك، فسِرْ بنا إلى عدوِّك حيث كانوا ومَن كانوا؛ فإنك لن تُؤتى إن شاء الله من ضَعفٍ ولا قِلَّة، وقال له مُحرِز بن شهاب التميمي: إن قلبَ شيعتك كقلبِ رجلٍ واحد في الاجتماع على نُصرتك، والجدِّ في جهاد عدوِّك، فأبشِرْ بالنصر، وسِرْ بنا حيث شئت... وذكر بمعناه.

وكان أمير المؤمنين يقول: لا تَتَعَرَّضوا لهم مالم يَنالوا محرماً، ولم يَسفكوا دماً حراماً.

وقال ابن إسحاق: اجتمع إلى علي عليه السلام ثمانون ألف مقاتل، فلما تهيّأ للمسير أتاه عن الخوارج أمرٌ فَظيع من قتلهم عبد الله بن خبَّاب بن الأرتّ وامرأته، وذلك أنهم لَقوهما فقالوا: رضيتُما بالحكمين، فقتلوهما وقتلوا أمَّ سِنان الصَّيداوِيّة،

= في الأصول كما ذكر المحقق.

(١) في (خ): فتنادوا.

واعترضوا الناس يقتلونهم.

حديث عبد الله بن خبَّاب

قد ذكر قصَّته أحمد في «المسند» وابن إسحاق والواقدي وهشام وغيرهم، قال: حدثنا أحمد بإسناده، عن حُميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم، قال: دخلوا قريةً، فخرج عبد الله بن خَبّاب بن الأرتّ ذَعِراً يجرُّ رِداءه، فقالوا: لا تُرَعْ، فقال: والله لقد رُعْتُموني، قالوا: إنك عبد الله بن خَبَّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعتَ من أبيك حديثاً يُحدِّث به عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم سمعتُه يُحدّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، فإن أدركتَ ذلك فكن عبدَ الله المقتول». قال أيوب[1]: ولا أعلمه إلا قال: «ولا تكن عبدَ الله القاتل»، قالوا: أنتَ سمعت هذا [من أبيك يحدّثه عن] رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقدَّموه إلى ضفّة النهر، فضربوا عُنُقَه، فسال دمه كأنه شِراك نَعْل، وبقروا بطنَ أمِّ ولده عما في بطنها.

وقتلوا ثلاث نسوة من طيّئ، وقتلوا أمَّ سِنان الصَّيداوية، واعترضوا الناس يقتلونهم.

ذكر الرسول الذي بعثه إليهم علي عليه السلام

قال أبو مخنف: وبلغ علياً عليه السلام ما فعلوا، فبعث إليهم الحارث بن مُرَّة النَّهْدي[2]، وقيل الفَقْعَسي، ليأتيهم وينظرَ فيما بلغه عنهم، ويكتبَ إليه به على وجهه، فخرج حتى أتى إلى النهر، فلما دنا منهم ليسألهم خرجوا إليه فقتلوه، وبلغ الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام الناس إليه وقالوا: علام تَدع هؤلاء يَخلُفوننا في عيالنا وأموالنا، سِرْ بنا إليهم، فإذا فرغنا منهم سِرْ بنا إلى عدوِّنا من أهل الشام.

قال: وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي، فكلَّمه بمثل ذلك، وكان الناس يَرون أن

(١) وهو شيخ حميد بن هلال. والخبر في المسند (٢١٠٦٤) وما سيرد بين معكوفين منه.

(٢) كذا، والذي في المصادر: العبدي، انظر تاريخ الطبري ٥/ ٨٢، ووقعة صفين ٢٠٥، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٢، ومروج الذهب ٤/ ٤١١، والمنتظم ٥/ ١٣٣.

الأشعث يرى رأي الخوارج؛ لأنه كان يقول يوم صفين: لقد أنصفَنا قومٌ يدعون إلى كتاب الله، فلما قال ذلك عُلم أنه لم يكن على رأيهم.

ذكر مسير أمير المؤمنين إليهم

قال أبو مخنف: ونادى علي عليه السلام بالرَّحيل، فعَبَر الجسر، وصلى ركعتين بالقَنْطرة، ثم نزل دير أبي عبد الرحمن[1]، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي، ثم على دَباها، ثم على شاطئ الفرات.

قال: فلقيه في مَسيرِهِ ذلك مُنَجِّم، أشار عليه أن يسير في وقتٍ من النهار وقال: إن سرتَ في غير ذلك الوقت لقيتَ أنت وأصحابك شِدَّة، فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن المسير فيه. فلما فرغ أمير المؤمنين من أمر الخوارج حمد الله وأثنى عليه وقال: لو سِرْنا في الساعة التي أمرَنا بها المنجِّم لقال الجُهّال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره المنجِّم فظفر.

قلت: كذا ذكر أبو مخنف، وحكاه عنه الطبري[2]، ولم يذكر اسم المنجِّم. ووقعتُ بقصَّة هذا المنجِّم واسمه في فضائل أمير المؤمنين، وذكرها عند خبر، قال[3]: سرْنا مع أمير المؤمنين إلى النَّهروان، فاعترضه مُنَجِّم يقال له: مُسافر بن عوف الأحمر، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسِرْ في هذا اليوم، وتربّصْ ليستوي الطَّالع، فقال علي: الله لا إله إلا هو، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون، وقال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ الآية[الأعراف: ١٨٨]، وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن صَدّق مُنَجِّماً بما يقول فقد كَذّب بما أنزل الله على محمد»، وما كان لرسول الله ﷺ مُنَجّم، ولا للخلفاء بعده، ثم قال لمسافر: هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حَسبتُ علمتُ، قال: مَن صدَّقك بهذا القول فقد كَذَّب بالقرآن؛ قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]، ما كان محمد ﷺ يَدّعي ما ادَّعيتَ علمَه، فمن صَدّقك كان كمن اتَّخذ

(١) في الطبري ٥/ ٨٣: دير عبد الرحمن.
(٢) في تاريخه ٥/ ٨٣.
(٣) كذا؟!

من دون الله أنداداً، اللهمَّ لا طائر إلّا طائرك، ولا خير إلا من عندك.

ثم قال: نحن نُكذِّبك ونسير في الساعة التي نهيتَ عنها، ثم قال: أيها الناس، إيّاكم وتعلُّم النُّجوم، إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، المنجم كافر، والكافر في النار، والمنجمون أعداء الله والرسل، يخالفون الله ويخالفونهم، والله يا أحمر، لئن بلغني بعد اليوم أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها؛ لأجْلِدَنّك جَلْدَ المفتري، ولَأُخَلِّدَنَّك في الحبس ما بقيت، ولَأحرِمَنَّك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم قال: فتحنا بلاد كسرى وقيصر وتُبَّع بغير قول منجِّم، المنجِّمون أضداد الأنبياء، لا يرجعون إلى كتاب، ولا إلى شريعة، وإنما يتستَّرون بالإسلام ظاهراً، ويستهزؤن بالأنبياء باطناً، فهم الذين قال الله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[1].

وفي رواية أن الأحمر قال له: لا تَسِرْ في هذا اليوم؛ فإن القمر في العقرب، فقال أمير المؤمنين: قَمرُنا أو قَمرُهم.

ثم سار إلى المدائن، فخرج إليه سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عبيد، فسار معه إلى النهر.

وقال هشام بن محمد وأبو مخنف وغيرهما: لما نزل أمير المؤمنين قريباً من النهروان بعث إلى الخوارج: ادفعوا إلينا قَتَلَة إخواننا منكم أقتلْهم بهم، ثم إني تارِكُكُم وعافٍ عنكم حتى ألقى العدوّ، ولعل الله أن يُقبل بقلوبكم، ويرُدّكم إلى أحسن ما كنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه: كلّنا قتلهم، وكلّنا مُستَحِلٌّ لدمائكم وأموالكم، أو لدمائهم.

وفي رواية أبي مخنف: أن رسول علي عليه السلام كان قيس بن سعد بن عُبادة، فقال لهم: عباد الله، أخرِجوا طَلِبَتَنا منكم، فادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدوِّنا وعدوِّكم؛ فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر، تشقُّون عصى المسلمين، وتسفكون دماءهم، وتعدُّونهم مشركين. فقال له عبد الله بن شجرة السُّلَمي: إن الحقَّ قد أضاء لنا، فلسنا متابعيكم، أو تأتونا بمثل عمر، فقال: ما نعلمه غير صاحبنا، قالوا: لا نعرفه، قال: نَشَدْتُكم في أنفسكم أن تهلكوا، فإني لا أرى الفتنة إلا

---

(١) أخرجه بنحو ما ذكر المصنف: الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٤) (زوائد).

قد غلبت عليكم. وخطبهم أبو أيوب الأنصاري بمثل ذلك، فأبوا إلا الإقامة على ما هم عليه.

وقال أبو مخنف وهشام: لما ورد أمير المؤمنين النهروان نزل قريباً منهم على فرسخ، وبعث إليهم أبا أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد، فقالا لهم: إنكم قد ارتكبتم أمراً عظيماً باستعراضكم الناس تقتلونهم، وتشهدون علينا بالشرك، وهو ظلم عظيم، فقال لهما: عبد الله بن السَّخبر: إليكما عنا، فإن الحق قد أضاء لنا كالصبح، ولسنا براجعين إليكم، أو تأتوا بمثل عمر بن الخطاب، فقال قيس بن سعد: ما نعرفه الآن إلا علي بن أبي طالب، قالوا: فنحن ما نعرفه.

وتكلّم أبو أيوب الأنصاري بنحوٍ من هذا فقالوا: يا أبا أيوب، إنَّا إنْ بايعناكم اليوم حَكَّمتم غداً آخر، فقال: فإنا نَنْشُدكم الله أن تتعجَّلوا فتنة [العام] مخافة ما نأتي به في قابل، فقالوا: إليكما عنا، فقد نابَذْنَاكم على سواء. فانصرفا إلى أمير المؤمنين فأخبراه بذلك، فأقبل حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامَه.

ذكر الخطبة

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب ـ وذكرها هشام ـ أن علياً عليه السلام أتى أهل النهر، فوقف عليهم وقال:

أيّتها العِصابة التي أخرجها المِراء واللّجاجة، وصدَّها الهوى عن الحق، وطمح بها تزيين الشيطان، فأصبحت في لُبْس وخطأ؛ إني نذير لكم أن تتمادوا في ضلالكم، فتُلْفَوا غداً صَرعى بأفناء هذا النهر بغير بَيِّنةٍ من ربّكم ولا بُرهان، ألم تعلموا أني نَهيتُكم عن الحكومة، وأخبرْتُكم أن القوم ليسوا بأصحاب دِينٍ ولا قرآن، وأنكم إن خالفتموني جانبتم الحَزْمَ، فعصيتموني، ثم أخذتُ على الحكَمين أن يُحيِيا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات، فاختلفا وخالفا كتابَ الله وسنةَ رسوله، فنَبَذْنا أمرَهما، ونحن على الأمر الأول، فأخبروني من أين أُتيتُم؟!

فقالوا: إنا حكَّمنا، فلما حكَّمنا أثِمْنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تُبنا، فإن تبتَ كما تُبنا فنحن معك ومنك، وإن أبيتَ نابَذْناك على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين.

فقال علي: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابِر[1]، أبعد إيماني بالله ورسوله، وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهدُ على نفسي بالكفر؟! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين.

وفي رواية هشام: ثم قال: لِيَخرجْ إليَّ رجلٌ منكم تَرضَون به أُحدِّثه ويُحدِّثني، فإن وجبتْ عليَّ الحُجَّة أقررتُ لكم، وتُبتُ إلى الله، وإن وجبتْ عليكم فارجعوا.

فقالوا لعبد الله بن الكَوَّاء ـ وكان من كُبرائهم ـ اخرج إليه حتى تُحاجّه، فخرج إليه، فقال له علي: ما الذي نَقمتم عليّ بعد رضاكم بولايتي، وجهادكم معي وطاعتكم؟! وهلّا تبرَّأتُم مني يوم الجمل؟ فقال ابن الكَوّاء: لم يكن هناك تحكيم، فقال علي: ويحك، فأنا أهدى أم رسول الله ﷺ؟ فقال: بل رسول الله. قال: فما سمعت قول الله تعالى ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] أكان الله يشكُّ أنهم الكاذبون؟ فقال: إن ذلك احتجاجٌ عليهم، وأنتَ شككتَ في نفسك، حتى رضيت بالحكَمَيْن، فنحن أحْرى أن نشكَّ فيك.

ولم يزل أمير المؤمنين يُحاجّ ابنَ الكواء بهذا وشبهه حتى قال ابن الكَوّاء: أنت الصادق في جميع ما قلت، غير أنك كفرتَ حيث حكَّمتَ الحكَمين. فقال: إنما حكَّمتُ أبا موسى وحدَه! قال: إن أبا موسى كفر، قال: فما ذنبي أنا؟ قال: رضاك. فصاح القوم: يا ابن الكَوَّاء، انصرف ودَعْ خطابَ الرجل، فلا حُكم إلا لله.

وتأهّب الخوارج للقتال، فعبّأ عليّ عسكرَه، فجعل على الميمنة حُجْر بنَ عَديّ، وعلى الميسرة شَبَث بن رِبْعي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرَّجَّالة أبا قتادة.

وجعل الخوارج على ميمنتهم زيد بن حُصَيْن، وعلى ميسرتهم شُرَيْح بن أوفى[2] العَبْسيّ ـ وكان من نُسَّاكهم ـ وعلى الرجَّالة حُرقوص بن زُهير، وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب.

ورفع علي عليه السلام رايةً وقال: مَن لجأ إليها فهو آمن، فقال فَرْوَةُ بن نَوْفَل

---

(١) أي: أحد. وفي (خ): واثر، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ٨٤، والمنتظم ٥/ ١٣٣.

(٢) في (خ): شريح بن أبي أوفى. وهو خطأ.

الأشجعي لقومه ـ وكان من رؤوس الخوارج: يا قوم، والله ما ندري علام نُقاتل علياً! وليس لنا في قتاله حُجّةٌ ولا بيان، فانصرِفوا حتى يتَّضح لنا بصيرةٌ في قتاله أو في اتباعه، ثم اعتزل الخوارج، ومضى في خمس مئة رجل إلى البَنْدَنِيْجين، وخرجت طائفة أخرى فلحقوا بالكوفة، واستأمن إلى الراية منهم ألفُ رجل، فلم يبق مع عبد الله ابن وهب منهم إلا أقل من أربعة آلاف، وقيل بقي معه ألف وثمان مئة، وكانوا اثنَيْ عشر ألفاً.

وقال علي لأصحابه: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فتنادت الخوارج: لا حُكم إلا لله، الرَّواح إلى الجنة، ثم شَدُّوا على أصحاب علي شدَّةً واحدة، فلم تثبت لهم خيل علي، وافترقت الخوارج فرقتين: فرقة منهم نحو الميمنة، وأخرى نحو الميسرة، وحمل قيس بن معاوية البُرْجُمي من أصحاب أمير المؤمنين على شُرَيح بن أَوْفى، فضربه بالسيف على ساقه فأبانها، فجعل يقاتل برِجْلٍ واحدة ويقول: [من الرجز]

الفَحْلُ يَحمي شَوْلَه مَعْقُولا[١]

فحمل عليه قيس بن سعد فقتله.

وحكى أبو مِخْنَف، عن عبد الملك بن مُسلم، عن حكيم بن سعد قال: ما هو إلا أن لقِيْنا أهل النهر فما ألْبثناهم، كأنهم قيل لهم موتوا فماتوا.

وفي رواية: فما لبثوا أن أناموهم.

وقال له أبو أيوب الأنصاري[٢]: يا أمير المؤمنين، قتلتُ زيد بن حُصَين، قال فما قلت وما قال؟ قال: طعنتُه بالرُّمح في صدره فنَجَم من ظهره، وقلت: أبشِر يا عدوَّ الله بالنار، فقال: ستعلم أيُّنا أولى بها صِلِيًّا، فسكت علي عليها. وفي رواية أبي مخنف أيضاً فقال علي: هو أولى بها صِلِيًّا.

واختلف هانئ بن خطّاب الأرْحَبِيّ وزياد بن خَصَفَة في قتل عبد الله بن وهب الرَّاسِبيّ، فقال علي: كيف صنَعتُما؟ قالا: طعنّاه، فقال: كلاكما قتله. وقتل أبو

---

(١) الطبري ٥/ ٨٧، والأخبار الطوال ٢١٠، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٦ـ٢٦٧.

(٢) كذا، وفي الطبري ٥/ ٨٧: قال أبو مخنف، فحدثني أبو جناب: أن أبا أيوب أتى علياً فقال...

النعمان الكِناني[(١)] حُرقوص بنَ زُهير.

قال أبو مخنف: وكان شُريح بن أوفى الذي قُطعت رِجلُه يحمل ويقول: [من الرجز]

أضرِبُهمْ ولو أرى أبا الحَسَنْ ضَربتُه بالسَّيف حتى يَطمَئنّ
أضرِبُهمْ ولو أرى عَليَّا أَلْبَسْتُه أبيضَ مَشْرَفِيَّا[(٢)]

حديث ذي الثُّدَيَّة

قال مسلم[(٣)]: حدثنا عَبْد بن حُميد، بإسناده إلى سَلَمة بن كُهَيْل قال: حدثني زيد بن وَهْب الجُهَنيّ؛ أنه كان في الجيش الذي كان مع علي عليه السلام، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي: أيها الناس، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قومٌ من أُمَّتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يَحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا يُجاوِز تَراقِيَهم، يَمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة»، لو يَعلم الجيشُ الذين يُصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيّهم لنَكَلوا[(٤)] عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عَضُد، وليس له ذِراع، على رأس عَضُدِه مثلُ حَلَمَةِ الثَّدْي، عليه شَعَراتٌ بيض، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإنهم قد سَفَكوا الدَّمَ الحرام، وأغاروا في سَرْحِ النّاس، فسِيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنَزَّلَني زيدُ بن وَهْب منزِلاً حتى قال: مرَرْنا على قَنطرة، فالتقَينا، وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبيّ، فقال لهم أَلْقُوا الرِّماح، وسُلُّوا سُيوفكم من جُفونها، فإني أخاف أن يُناشِدوكم كما ناشَدوكم يومَ حَروراء، فرجعوا فوَحَّشوا بِرماحهم، وسَلُّوا السُّيوف، وشَجَرهم الناسُ بِرماحهم، وقُتِل بعضُهم على بعض[(٥)]، وما أُصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان، فقال علي عليه السلام:

(١) كذا، وفي الطبري: أبو المعتمر الكناني.
(٢) الطبري ٥/ ٨٨، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٦٧، ومروج الذهب ٤/ ٤١٤.
(٣) في (خ): قال أبو مسلم، وهو خطأ، والحديث في صحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٦)، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند (٧٠٦).
(٤) في صحيح مسلم ومسند أحمد: لا تكلوا.
(٥) في (خ): وقتل بعضهم بعضا.

التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي بنفسه فطاف في القتلى، فأخرجوه من بينهم، فكبَّر علي ثم قال: صدق الله، وبَلَّغ رسولُه، فقام إليه عَبِيدَةُ السَّلْمانيّ فقال: يا أمير المؤمنين، أللهِ الذي لا إله إلا هو لسمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟! فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استَحْلَفه ثلاثاً وهو يَحلِفُ له. انفرد بإخراجه مسلم.

معنى وَحَّشُوا برماحهم، أي: ألقَوْها، وشَجَرهم الناس؛ أي: شَبَكُوهم بالرِّماح.

قال أبو عُبيد: اسم ذي الثُّدَيَّة بلبول.

وقال هشام بن محمد: وهذا ذو الثُّدَيَّة هو أبو الخوارج وأصلُهم، ويقال له: ذو الخُوَيْصرة، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم حُنين: يا محمد، اعدِلْ فما عدَلْتَ، وقد ذكرناه هناك[1]. ويُقال له: المُخْدَج، أي: النَّاقِص.

وقال أبو مِخْنَف: لما مر علي عليه السلام على القتلى تطوف على ذي الثدية، وكان معه سُلَيم بن ثُمامة الحنَفيّ، والرَّيَّان بن صَبرة بن هَوْذة، فوجده الرَّيّان في حُفرة على شاطئ النهر، في أربعين أو خمسين قتيلاً، فلما استُخرج نظر إلى عَضُده، فإذا لحمٌ مجتَمِعٌ على مَنكِبِه كثَدْي المرأة، [له] حَلَمة عليها شَعرات سود، فإذا مُدَّت امتدّت حتى تُحاذي يدَه الأخرى، فإذا تُركت عادت إلى منكبه، فكبَّر علي وقال: والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبْتُ، وذكره... قال: ووقف عليهم عليّ عليه السلام وهم صَرْعى فقال: بُؤساً لكم، لقد ضرَّكم مَن غرَّكم، قالوا: يا أمير المؤمنين ومَن غرَّهم؟ قال الشيطان وأنْفُسٌ أمارةٌ بالسُّوء، غرَّتهم بالأماني، وزينت لهم عمل السوء.

قال: وطُلب مَن به رَمَق منهم فكانوا أربع مئة رجل، فقال علي لعَشائرهم: احمِلوهم معكم وداووهم، فإذا بَرِؤوا فوافوني بهم الكوفة، وما وجد من السِّلاح والدَّوابّ وآلةِ القتال قَسمه بين الناس، وأما العبيد والإماء فردَّهم على أهلهم.

وطلب عَدِيّ بن حاتم[2] ولدَه طَرَفة بن عدي، فوجده قتيلاً، فدفنه وقال: الحمد لله

(١) سلف في قسم السيرة.

(٢) في (خ) و(ع): وطلب علي بن حاتم، والمثبت من الطبري ٥/ ٨٨.

الذي ابتلاني بيومك عن[1] حاجتي إليك، ودَفَن بعض الناس قتلاهم، وبلغ عليًّا عليه السلام فقال: أتقتلونهم ثم تدفنونهم؟! ارتَحِلُوا فارتحلوا.

قال أبو مخنف أيضاً: لم يُقتل من أصحاب عليٍّ[2] إلا سبعة.

قال الخطيب بإسناده: أوّلهم يزيد بن نُويرة من الأنصار، قال أبو حازم المدني[3]: شهد له رسول الله ﷺ بالجنَّة مرَّتَيْن؛ يوم أُحد قال رسول الله ﷺ «مَن جاوز التَّلَّ فله الجنة»، فقاتل يزيد حتى جاوزه، واختلف ابنُ عمٍّ ليزيد مع يزيد في قتيل قتلاه يوم أُحد، فقال رسول الله ﷺ: «كلاكما[4] قد وَجبت له الجنة»، ثم كان يزيد أوّلَ قتيل قُتل بالنَّهْرَوان.

وقال هشام: قُتل رؤوس الخوارج: عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيّ، ويزيد بن حُصَين الطائي ـ ويقال: زيد ـ وشُرَيح بن أوفى، وأبو حسَّان الزِّياديّ، وهؤلاء كانوا رؤوس القُرَّاء مع علي قبل التَّحكيم.

وأما عبد الله بن الكَوَّاء فإنه بان له الحق، فرجع في خمس مئة رجل، ولم يقاتل علياً فسلم.

وهذا عبد الله بن الكَوَّاء هو عبد الله بن أوْفَى، ويقال: عبد الله بن عمرو بن النُّعمان ابن ظالم اليَشْكُرِيّ، قال هشام: كُنيته أبو عمرو، وقال أحمد بن حنبل: كنيته أبو الكَوَّاء.

قدم دمشق مع الذين نفاهم عثمان من الكوفة: الأشتر وصَعْصَعة بن صُوحان وغيرهما، فأنزلهم معاوية داراً وأضافهم، فأقاموا يقرؤون، فمرَّ بهم يوماً معاوية زائراً لهم، فسمعهم يقرؤون القرآن، فقال: هذا خير لكم من الفتنة، ثم نَشَدهم الله وقال: أيُّ رجلٍ أنا؟ فقال له ابنُ الكَوَّاء: أنت رجلٌ واسع الدنيا ضيِّق الآخرة، قريب المَرْعى

---

(١) كذا في (خ) و(ع)، ولعلها محرفة عن كلمة: عند، وفي الطبري ٥/ ٨٨ : على.

(٢) في (خ) و(ع): أصحاب رسول الله ﷺ، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) كذا؟! وفي تاريخ بغداد ١/ ٢٠٤ ، وعنه المنتظم ٥/ ١٣٥ : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حاتم ابن إسماعيل المدني.

(٤) في (خ): كلاهما.

بعيد المَرْمَى[١]، تجعل الظّلمات نوراً والنور ظلمات، فسكت.

ثم عاد ابن الكَوّاء إلى العراق، وخرج مع الخوارج، ثم رجع عنهم، ولم أقف على تاريخ وفاته.

واختلفوا في أيّ سنة كانت هذه الوَقْعة، فعامَّة المؤرِّخين على أنها في هذه السنة، وحكينا عن الواقدي أنها كانت في سنة ثمان وثلاثين، وقال أبو عبيدة: في سنة تسع وثلاثين، والأول أشهر.

وقد أخرج أحمد في «المسند» في مسند علي عليه السلام؛ حديثاً مطولاً في قصة الخوارج ـ اختصرتُه ـ فقال: حدثنا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع بإسناده، عن عُبيد الله بن عِياض بن عَمرو القاري قال:

جاء عبد الله بن شَدّاد فدخل على عائشة، ونحن عندها جلوس، مَرجِعَه من العراق ليالي قُتل علي عليه السلام، فقالت له عائشة: يا ابن شَدّاد، هل أنت صادِقي عما أسألُكَ عنه؟ قال: نعم، قالت: حدِّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: لما حَكَّم علي الحكَمَين خرج عليه ثمانية آلاف من القُرَّاء، فنزلوا حَرُوْراء، وعَتِبوا عليه وقالوا: انسَلَخْتَ من قميصٍ ألبسك الله إياه، واسمٍ سَمَّاك الله به، ثم حكَّمتَ في دين الله، ولا حُكم إلا لله. وفارقوه.

فأمر بإدخال القُرّاء عليه، وقال: لا يَدخُل عليَّ إلا قارئ، فاجتمع عنده أناس، فدعا بمصحف عظيم، فوضعه بين يديه، وجعل يَصُكُّه ويقول: أيُّها المصحف، حَدِّث الناس. وناداه الناس: يا أمير المؤمنين، ماذا تسأل؟! إنما هو مِداد في وَرَق، فماذا تريد؟ فقال: أصحابُكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في امرأة ورجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ الآية [النساء: ٣٥] فأمَّةُ محمد ﷺ أعظمُ دماً وحُرْمَةً من امرأة ورجل.

ونقَمُوا عليّ أني مَحَوتُ اسمي، وقد فعله رسول الله ﷺ في غزاة الحُدَيْبِيَة، وكتب: محمد بن عبد الله، ولي في رسول الله أُسوةٌ حَسَنة.

---

(١) في تاريخ دمشق ٣٩٠ (عبادة ـ عبد الله): بعيد الثرى.

وبعث إليهم عبد الله بن عباس وكنتُ معه، فلما تَوَسَّط عسكرَهم قام ابنُ الكَوّاء فقال: يا حَمَلَة القرآن، هذا ابن عباس الذي نزل [فيه و] في قومه: ﴿قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:٥٨] رُدُّوه إلى صاحبه، ولا تُواضعوه كتابَ الله، فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنُواضِعَنّه كتابَ الله، فإن جاء بحقٍّ نعرفه نَتَّبِعَنّه، وإن جاء بباطلٍ لنُبَكِّتَنّه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتابَ ثلاثةَ أيّام، فرجع منهم أربعة آلافٍ كلُّهم تائب، منهم ابن الكَوَّاء، حتى أدخلهم علي الكوفة، وبعث إلى بقيَّتهم يقول: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقِفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمّةُ محمد ﷺ، وبيننا وبينكم أن لا تسفِكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا ذِمَّةً، فإن لم تفعلوا فقد نَبَذْنا إليكم الحربَ على سواء، إن الله لا يُحبُّ الخائنين.

فقالت عائشة: يا ابنَ شَدّاد، فقد قتلَهم ؟! فقال: والله ما فعل حتى قَطعوا السّبيل، وسفكوا الدّمَ الحرام، واستحلُّوا أهلَ الذِّمَّة، فقالت: آلله؟ قال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان ذلك، فقالت: فما شيءٌ بلغني عن أهل العراق؟ يقولون: ذو الثَّدي، وذو الثّدي، قال: قد رأيتُه، قمتُ مع علي عليه السلام [عليه] في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرِفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيتُه في مسجد بني فلان يصلي، قالت: فما قال علي حين وقف عليه؟ قال: سمعتُه يقول: صدق الله ورسولُه، فقالت: يرحم الله علياً، إنه كان إذا رأى شيئاً يُعجبه قال: صدق الله ورسوله[1]، فيذهبُ أهلُ العراق يكذِبون عليه، ويَزيدون في الحديث.

ذكر رجوع أمير المؤمنين من النهروان إلى النُّخَيْلَة

قال أبو مخنف عن أشياخه: إن عليًّا عليه السلام لما فرغ من أهل النهر حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن إليكم، وأعزَّ نُصرَتكم، فتوجَّهوا من فوركم هذا إلى قتال عدوِّكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نَفِدَت نِبالُنا، وكَلَّت سيوفُنا، ونَصَلَتْ أسِنَّة رِماحنا، فارجع بنا إلى المِصر، فلنَسْتَعِدّ بأحسن عُدَّة، فإنه أقوى لنا على عدوّنا. وكان

(١) من قوله: صدق الله ورسوله، قبل سطر، إلى هنا ليس في (خ). والحديث في مسند أحمد (٦٥٦)، وتاريخ دمشق ٣٩٦-٣٩٧ (عبادة - عبد الله)، وما بين حاصرتين منهما.

الذي كلَّمه بهذا الأشعث بن قيس.

فأقبل حتى نزل النُّخَيْلَة، وأمر الناس أن يَلزَموا عسكرَهُم، وأن يُقِلُّوا زيارةَ بيوتهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوِّهم، فأقاموا أياماً، ثم تسلَّلوا من مُعسكرهم فدخلوا الكوفة، إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وبقي العسكر خالياً، فلما رأى علي ذلك انكسر رأيُه في المسير إلى الشام، ودخل الكوفة.

وقال هشام: وكان الأشعث بن قيس مُنافقاً، وهو الذي ارتدّ عن الإسلام، ونافق على أمير المؤمنين لما عزله عن أرمينية، وإنما عزله عنها لأن أبا بكر وعمر ما كانا يُولِّيان من ارتَدَّ وِلايةً، والأشعث هو الذي قال أبو بكر في حقّه عند وفاته: لو قتلتُه لأرحتُ الناس منه، وهو الذي أفسد الأمور على علي بصفّين، وقد ذكرناه، ثم إنه كان يكاتب معاوية ويطالعه بالأخبار، وكان معاوية يبعث إليه بالأموال الكثيرة إلى أشراف الكوفة ورؤسائهم، فمال إلى معاوية بعد صفّين، [فكان معاوية] يقول: لقد حاربتُ ابنَ أبي طالب بغير جيش ولا قتال[1].

ذكر خطبة أمير المؤمنين حين قعدوا عنه

وقد خطب خُطباً كثيرة اخترتُ منها خُطبتين:

الخطبة الأولى؛ ذكرها أبو مخنف وهشام وغيرهما، عن أشياخهم قالوا: خطب أمير المؤمنين الناسَ لما تقاعدوا عن المسير إلى قتال معاوية فقال: أيُّها الناس، استعدُّوا للمسير إلى جهاد عدوِّكم... وذكر كلاماً، وقال: ما بالكم إذا دعوتُكم إلى قتالِ أهل الضَّلال تثاقلتُم إلى الأرض، أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! أوَكلَّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينُكم في رؤوسِكم، كأن فيها كَمَهاً فأنتم لا تُبصرون، وقلوبكم قاسية كأنكم لا تعقلون، والله ما أنتم إلا أُسود شَرَى في الدَّعَة، وثعالبُ رَوَّاغة حين تُدعون إلى البَأس، ما أنتم لي بثِقات... في كلام آخر.

وفيها: إن عدوّكم لا يَنام عنكم، وأنتم في غَفْلَةٍ ساهون، إن لي عليكم حقًّا، ولكم عليَّ حقاً؛ أما حقكم فقِسمةُ الفَيْءِ فيكم، وأما حقِّي فالوفاء بالبيعة، والسمعُ والطَّاعة،

(١) ما بين معكوفين من أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥ .

والمناصحة في المَشْهد والمَغيب، والإجابة حين أدعوكم، وامتثال الأمر حين آمُركم... وذكر كلاماً آخر(١).

تفسير غريبها: الكَمَه: العَمَى، وقال الجوهريّ: الأكمه الذي يُولَد أعمى. قال: والشَّرى: طريقٌ في سَلْمى كثيرُ الأُسْد، والرَّوَغان: المَيْل، ومنه رَوَغان الثَّعلب(٢).

الخطبة الثانية: منها: أيُّها [الناس] المجتمعةُ أبدانُهم، المُتفرِّقةُ قلوبُهم وأهواؤهم، ما عَزَّت دعوةُ مَن دَعاكم، ولا استراح مَن اعتَضَد بكم، كلامُكم يُوْهِن الصُّمَّ [الصِّلاب]، وفِعلُكم يُطمِعُ فيكم عدوَّكم، إذا دعوتُكم إلى الجهاد قلتم: كَيتَ وكَيت، وذَيْتَ وذَيْت، أعالِيلٌ وأباطيل، وسألتموني التَّأخير فِعلَ ذي الدَّينِ المَطْول(٣) ... مع كلام طويل، وفيه: فَرَّق الله بيني وبينكم، وأبدَلَني مَن هو خيرٌ منكم، إنكم لو نَصَرْتموني فستذكرون ما أقول لكم.

وحكى البَلاذُريّ طَرفاً منه وقال: فقام أبو أيُّوب الأنصاري فقال(٤): إن أمير المؤمنين قد أسمع مَن كانت له أُذُنان وقلبٌ حَفيظ، إن الله قد أكرَمَكم به، فاقبلوا كَرامتَه حقّ قَبولها، إنه أنزل ابنَ عمِّ نبيّكم ﷺ بين ظَهْرانَيكم يُفقِّهكم ويُرشِدُكم، ويَدعوكم إلى ما فيه الحظُّ لكم.

وقال البَلاذُريّ أيضاً، عن أبي صالح قال: شهدتُ أميرَ المؤمنين وقد حَمل المصحفَ على رأسه وقال: اللهمَّ إني سألتُهم ما فيه فمَنَعوني إيّاه، اللهمَّ إني قد مَلَلْتُهم ومَلُّوني، وأبغَضْتُهم وأبغضوني، وحَملوني على أخلاق لم تكن تُعرف فيّ، اللهمَّ فأبْدِلْني خيراً منهم، وأبْدِلْهم شرّاً منّي، ومِثْ قلوبَهم مَيْثَ المِلح في الماء(٥).

وقال الأصمعي: بلغني أن أمير المؤمنين قال في خُطبة: وَيْحكم، ألا انفِروا إلى غَزْو عَدوِّكم، فو الله ما غُزِي قومٌ في عُقْرِ دارِهم إلا ذَلُّوا(٦).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٩٠-٩١، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) الصحاح (روغ، كمه، شرى) ٤/ ١٣٢٠ و٦/ ٢٢٤٧، ٢٣٩١.

(٣) المَطول: المماطل والمُسَوِّف وانظر الخطبة في البيان والتبيين ٢/ ٥٦، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٧٣.

(٤) في أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٤ أن قوله هذا كان قبل تولية علي إياه على المدينة بيسير.

(٥) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥.

(٦) ذكرها مطولة الدينوري في الأخبار الطوال ٢١١-٢١٢ دون نسبتها إلى الأصمعي.

وقال البَلاذُريّ: كتب عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط من الكوفة إلى معاوية يُخبره: أن قد خرج على أمير المؤمنين قُرَّاءُ أصحابه ونُسَّاكُهم، وأنه سار إليهم فقتلهم، وقد فَسَد عليه جُندُه وأهلُ مِصره، ووقعت العَداوةُ بينهم، وتفرَّقوا أشدَّ فُرقة.

وقال البلاذري أيضاً: ولما بلغ معاوية أن أمير المؤمنين مُجِدٌّ في غَزوِه، وأنه يَدعو الناس إلى جهاده، وإعادةِ الحرب بينه وبينه؛ هالَه ذلك، وخرج عن دمشق، فعسكر بظاهِرها، وبعث المُسْتَصرِخين إلى كُوَر الشّام يُنادون: ألا إن علياً قد أقبل إليكم، وإنا كنَّا حَكَّمنا حكَمَيْن؛ فخلعه حكَمُه، وأثبتني حَكَمي، وكان بيننا شُروطٌ فنكَثَها، وقد أقبل إليكم بخَيله ورَجِله، ناكثاً ظالماً باغِياً، فاستعِدُّوا لقتاله، انفروا خِفافاً وثِقالاً، فنَفَر إليه من كلِّ أَوْبٍ، ثم أراد معاوية المسيرَ إلى صفِّين فتوقّف[1].

وقال الشعبي: وفي هذه السنة بعث أمير المؤمنين لما عاد من صفّين جَعْدَة بن هُبَيْرَة المَخْزومي ـ وكان ابنَ أختِ علي أمِّ هانئ بنت أبي طالب ـ إلى خُراسان، وكانوا قد كفروا، فحاصر أهلَ مَرْو ونَيْسابور، فصالحوه على ما أراد، وعاد.

وحجّ بالناس في هذه السنة عُبيد الله بنُ العبَّاس، وكان عامل علي عليه السلام على اليمن ومَخاليفِها، وكان على مكةوالطّائف قُثَم بنُ العبّاس، وعلى المدينة سَهْل بن حُنَيْف الأنصاري ـ وقيل: كان عليها تَمَّام بنُ العبّاس ـ وكان على البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدِّيْلي، وكان على الكوفة أبو مَسعود الأنْصَاريّ؛ استَخْلَفه علي لما خرج إلى صفّين، وعلى خُراسان خُلَيْد بن قُرَّة اليَرْبوعيّ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه[2].

وفيها توفي

حابِس بن سعد بن ربيعة الطّائي اليماني

واختلفوا في صُحبته؛ فقال البخاري وأبو حاتم: أدرك رسول الله ﷺ[3].

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٥ـ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٩٢ـ٩٣.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ١٠٨، والجرح والتعديل ٣/ ٢٩٢.

وذكره أبو زرعة وابن سعد ممن نزل الشام من الصحابة، وذكره جدي في «التلقيح»(١) فيمن له صحبة، ولم يذكره فيمن له رواية.

وقال أبو زرعة: بعثه أبو بكر الصديق إلى الشام، فنزل حمص، وولّاه عمر بعد ذلك قضاء حمص.

وقال ابن عبد البر: ولّاه عمر ناحية من نواحي الشام، فرأى في منامه كأن الشمس والقمر يقتتلان، ومع كلِّ واحدٍ منهما كواكب، فقصّ رؤياه على عمر ﷺ، فقال له: مع مَن كنتَ؟ فقال: مع القمر، فقال: كنتَ مع الآية الممحوَّة، واللهِ لاتلي لي(٢) ولايةً أبداً، يُشير إلى قوله ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾[الإسراء: ١٢] قال: فقُتل مع معاوية بصفّين، وكان على الرجَّالة، وبيده راية طيّئ، وهو خَتَنُ عديّ بن حاتم، وخالُ ابنه زيد بن عديّ.

وذكر أبو البَخْتَريّ قصة حابس مع عمر أتمّ مما ذكرها ابن عبد البر فقال: ولّاه عمر قضاء حمص، وقال له: كيف تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي واستشير جُلسائي، فقال له عمر: أصبتَ وأحسنت.

ثم لقيه عمر بعد ذلك فقال: ما منعك أن تسير إلى عملك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ رؤيا هالتني، قال: وما رأيت؟ قال: رأيتُ كأن الشمس والقمر يقتتلان، أقبلت الشمس من المشرق في جمع كثير من الكواكب، وأقبل القمر من المغرب في جمع كثير من الكواكب، فاقتتلا، فقال عمر له: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، فقرأ عمر ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ الآية، ثم قال: اردُدْ علينا عهدَنا، فردَّه(٣).

وقتل بصفين مع معاوية.

قلت: وفي هذا الأثر فوائد منها: أن عمر كان يَعرف التأويل، فكأنه فهم أنه سيقتتل

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٣٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٦، وتاريخ دمشق ٤/ ٥٦ـ٥٧ (مخطوط).
(٢) في (خ) و(ع): له، والمثبت من الاستيعاب (٥٤٦).
(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٢٩٨ـ٢٩٩ (مخطوط).

ملكان، أحدهما يكون معه الحق، والآخر على الباطل، ودليلُه طلوع الشمس من المشرق، وإتيانها من مطلعها، وليس من عادة القمر أن يطلُع من المغرب، فكان شيعياً.

والثاني: فِراسة عمر في حابس، وجاء كما قال وهو قتلُه بصفّين.

والثالث: أنه لا بأس بالفأل وتكره[1] الطِّيَرة.

والرابع: أن الإنسان إذا قُلّد عملاً ينبغي له أن يُبادر ويسيرَ إليه؛ لأنه التزم الأمانة، فيجب عليه المبادرة إلى أدائها، ولهذا أنكر عمر عليه.

وقال ابن لهيعة: اجتمع بصفّين حابس بن سعد وأبو مُسلِم الخَولاني ورَبيعة الحَرَشِيّ ـ وكانوا مع معاوية ـ فقالوا: لِيَدْعُ كلُّ واحد منا بدعوة، فقال أبو مسلم: اللهمَّ اكِفنا وعافنا، وقال حابس: اللهمَّ اجمع بيننا وبينهم واحكم بيننا، وقال ربيعة: اللهمَّ أبْلِنا بهم وأبْلِهم بنا، قال: فلما التقَوا قُتل حابس، وفُقئت عين ربيعة، وعُوفي أبو مسلم[2].

وقد حكينا أن الأشتر مرَّ مع أمير المؤمنين على حابس بن سعد؛ فرآه مقتولاً فقال: هذا اليَماني عهدتُه مؤمناً، ثم قُتل على ضلاله، فقال له علي: وهو الآن مؤمن.

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» فقال: حدّث عن أبي بكر وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وروى عنه جُبير بن نُفَير وسعد بن إبراهيم.

وتكلّم فيه الدارقُطني أنه مجهول فقال: حابس متروك، وقال مَرَّة أخرى: مجهول[3]، [وهذا] وَهْم منه، فإن شُهرته ظاهرة لما ذكرنا، وقوله متروك يحتمل أنه ضَعَّف روايتَه، حيث لم يَقبَلْه عمر وعَزَله.

ولم يختلفوا أنه قُتل بصفّين يوم قُتل عمار.

وليس في الصحابة مَن اسْمه حابس بن سعد غيرُه، فأما غير ابن سعد فآخر يُقال له:

---

(١) في (خ) و(ع): وتكثرة؟!

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٥٩ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٥٧ .

حابس أبو حيّة التَّميمي، له صُحبة ورواية[1]، وليس لصاحب هذه الترجمة رواية.

وأخرج أحمد في «المسند»[2] لحابس أبي حَيَّة التميمي حديثاً، كذا وقع في «المسند»: أبي حيَّة، وفي رواية: أبو حبَّة، وحيَّة بنقطتين من تحت؛ قال أحمد: حدثنا عبد الصَّمد بإسناده إلى حيّة بن حابس التميمي؛ أن أباه أخبره، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيءَ في الهام، والعين حقٌّ، وأصدقُ الطير الفَأْلُ».

وفيها توفِّي

حَوْشَب

ويقال له: ذو ظُلَيم الألْهاني؛ رئيس بني أَلْهان في الجاهلية والإسلام، وهو من الأَذْواء ملوك اليمن، وكان بصفِّين على إحدى مُجَنِّبَتَيْ معاوية، وذو كَلاع على الأخرى، وقيل: كان على رَجَّالة حِمص.

وقال أبو القاسم بن عساكر: وقد اختلفوا في اسم أبيه، وأدرك أبوه رسول الله ﷺ ولم يره[3]، وكان رسول الله ﷺ قد كاتب حَوْشباً وذا كلاع على يَدَيْ جرير بن عبد الله، ولفيروز ليقتلوا الأسود العَنْسِيّ[4].

قال: وقُتل حَوْشَب بصفِّين مع معاوية، في اليوم الذي قُتل فيه عمار، قتله سُلَيمان ابن صُرَد.

وفيها توفي

خَبَّاب بن الأَرَتّ

ابن جَنْدَلَة بن سعد، من بني زيد مَنَاة بن تميم، وكُنيته أبو عبد الله، مولى بني زُهْرَة.

---

(١) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٧٦ .

(٢) برقم (٢٠٦٨٠).

(٣) كذا، وهو خطأ، فإن الذي أدرك النبي ﷺ ولم يره وراسله؛ هو حوشب ذو ظليم، لا أبوه. انظر الاستيعاب (٥٩٨)، وتاريخ دمشق ٥/ ٣٧٧ (مخطوط).

(٤) في الاستيعاب: أن رسول الله ﷺ كتب إلى حوشب كتاباً، وبعث به إليه مع جرير البجلي، ليتعاون هو وذو الكلاع وفيروز الديلمي ومن أطاعهم على قتل الأسود العنسي.

وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: سُبي فبيع بمكة، فاشترتْه أمُّ أَنْمار، وهي أمُّ سِباع بن عُرْفُطَة الخُزَاعيّ[١]، وكانوا حُلَفاء عوف بن عَبد عوف بن زُهْرة، وكانت أمُّ أنمار خَتَّانةً بمكّة، وهي التي قال حمزة بن عبد المُطّلب يوم أُحد لابنها سِباع: يا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظور، وقد ذكرناه[٢]، فانضمَّ خباب إلى [آل] سِباع بهذا السبب. ويُقال: سِباع بن عبد العُزَّى[٣].

وقال البَلاذُريّ: كان الأَرَتّ أبو خَبّاب سَوَادِيًّا، فأغار قومٌ من ربيعة على النَّاحية التي هو فيها فسَبَوْه، وأتَوا به الحِجازَ فباعوه، فوقع إلى سِباع، فوَهَبه لأُمِّ أَنْمار فأعتَقَتْه.

وزعم أبو اليَقظان البَصْري أن خَبَّاباً كان أخا سِباع لأُمّه.

ويُقال: إن الأرتَّ من أهل كَسْكَر.

وقال الواقدي: كان قَيْناً، وكان يُكنى أبا عبد رَبّه[٤].

وحكى ابن سعد عن الواقدي: أن خَبَّاباً أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأَرْقَم، فكان خامساً أو سادساً في الإسلام، أسلم بعد خمسةٍ أو ستَّةٍ، وكان يفتخر بذلك، وهو من المستَضْعَفين الذين كانوا يُعَذَّبون بمكة في الله، ولم يرجع عن دينه.

قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين خَبَّاب وبين جَبْر[٥] بن عَتيك، وخبَّاب هو الذي دخل عمر على أُخته فاطمة وهو يُقرئها القرآن، وقد ذكرناه عند إسلام عمر[٦].

وقال ابن سعد بإسناده عن الشَّعبيِّ قال: دخل خَبَّاب بن الأَرَتّ على عمر بن

---

(١) كذا، وهو خطأ، صوابه أم سباع بن عبد العزى الخزاعي، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٥١ و٨/ ١٣٦، والمعارف ٣١٦، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٩، والاستيعاب (٦٥٦)، والمنتظم ٥/ ١٣٨.
وأما سباع بن عرفطة؛ فهو صحابي، انظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٨.

(٢) في قسم السيرة.

(٣) انظر التعليق ما قبل السابق.

(٤) أنساب الأشراف ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٥) في (خ) و(ع): جبير، وهو خطأ.

(٦) سلف في قسم السيرة.

الخطاب، فأجلسه على مُتَّكئه وقال: ما على وجه الأرض أحدٌ أحقّ بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، فقال له خَبَّاب: مَن هو يا أمير المؤمنين؟! قال: بلال، فقال خَبَّاب: ما هو بأحقّ مني، إن بلالاً كان له من المشركين مَن يَمنعُه الله به، ولم يكن لي أحدٌ يَمنعني، ولقد أخذوني يوماً، فأوقدوا لي ناراً، ثم سَلَقوني فيها، ثم وَضَع رجلٌ رِجلَه على صدري، فما اتَّقيتُ الأرض إلا بظَهْري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد بَرِص[1].

وأخرج أبو نعيم بمعناه وفيه: أوقَدوا لي ناراً، ما أطفأها إلا وَدَك ظهري، وكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيتُ كاليوم[2].

وقال هشام بن محمد: كانت أمُّ أنمار مَولاة خَبَّاب تَحمي الحديدة وتَضَعُها على رأس خَبَّاب، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا عليها فاشتكتْ رأسَها، وكانت تَعوي مع الكلاب، فقيل لها: اكتوي، وكان خَبَّاب يَحمي الحديدةَ ويكوي بها رأسَها.

وقال الواقدي: الذي كان يُعذِّب خَبّاباً عُتبة بن أبي وَقَّاص، أخو سعد، وقيل: الأسود بن عبد يَغوث[3].

وقال أحمد[4] بإسناده، عن مَسروق، عن خَبَّاب قال: كان لي على العاص بن وائل السَّهْميّ دَينٌ، وكنتُ رجلاً قَيْناً، فأتيتُه أتقاضاه فقال: لا والله، لا أَقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت له: والله لا أكفر به حتى تموت ثم تبعث، فقال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ قلت: نعم، قال: سوف أقضيك إذا رجعتُ إلى مالٍ وولد، فأنزل الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ الآية [مريم ٧٧-٨٠]. أخرجاه في الصحيحين[5]، والعاص هو أبو عمرو بن العاص.

وقال أحمد بن حنبل ـ كان خباب قد اكتوى لأمراض كانت به قال: حدثنا يزيد بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٢ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٤٢ـ١٤٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٤) في مسنده (٢١٠٧٥).

(٥) صحيح البخاري (٢٠٩١)، وصحيح مسلم (٢٧٩٥).

هارون بإسناده، عن قيس بن أبي حازم قال: أتينا خَبّاباً نعودُه، وقد اكتوى في بطنه سَبع كَيّات، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعوَ بالموت لدعوت به، فقد طال مرضي.

ثم قال: إن أصحابَنا الذين مَضَوا لم تَنْقُصْهم الدنيا شيئاً، وإنّا أُعطينا بعدهم من الدنيا ما لم نجد له موضعاً إلا التراب، وكان يبني حائطاً له، فقال: إن المسلم ليُؤْجَر في نفقته كلِّها إلا في شيءٍ يجعله في التُّراب. متفق عليه(١).

وبه عن خَبَّاب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بردائه في ظلِّ الكعبة، فقلنا يا رسول الله، ألا تَستَنصِر لنا؟ فجلس مُحْمرّاً وجهُه وقال: «لقد كان مَن كان قبلكم يُؤخذ فيُجعل المِنشار على رأسه، فيُفْرَقُ فرقتَيْن، ما يَصرِفه ذلك عن دِينه، وليُتِمّنَّ الله هذا الدين ـ أو هذا الأمر ـ حتى يسيرَ الرَّاكب ما بين صَنْعاء وحَضْرَمَوت؛ لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه». انفرد بإخراجه البخاري(٢).

وروى أبو نعيم بإسناده عن شقيق بن سلمة قال: دخلْنا على خَبّاب نَعوده في مرضه فقال: إن في هذا التّابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شَددتُ عليها خيطاً، ولا منعتُ منها سائلاً، ثم بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي أن أصحابي مَضَوْا ولم تَنْقُصهم الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى ما نجِد مَوضعاً للمال إلا التُّراب(٣).

ذكر وفاته:

قال ابن سعد بإسناده عن طارق بن شهاب قال: دعا خَبّاباً نَفَرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشرْ أبا عبد الله، إخوانك تَقْدَم عليهم غداً، فبكى وقال: أما إنه ليس بي جَزَع، ولكن ذكَّرتموني أقواماً، وسمَّيتُم لي إخواناً، وإن أولئك مَضَوا وأُجورُهم على الله، أو كما هي، وإني أخاف أن يكون ثوابَ ما تَذكُرون من تلك الأعمال مما أُوتينا بعدَهم(٤).

وقال الواقدي: نزل خَبّاب الكوفة حين اختطَّها المسلمون، فأقام بها إلى سنة سبع

---

(١) مسند أحمد (٢١٠٦٩)، وصحيح البخاري (٥٦٧٢)، وصحيح مسلم (٢٦٨١).

(٢) مسند أحمد (٢١٠٥٧)، وصحيح البخاري (٣٨٥٢).

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٤٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٣ .

وثلاثين، فلما احتُضر قال لولده عبد الله ـ وهو الذي ذَبحتْه الخوارج في هذه السنة: يا بُنيّ، إذا متُّ فادفِنيّ بهذا الظّهر ـ يعني ظهرَ الكوفة، وهو أوَّل مَن دُفِن بظَهْرها ـ قال: يا بُنيّ، فإنك إذا دَفَنْتَني بظَهْرها قال الناس: هذا رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان الناس يَدفنون في جَبابينهم بالكوفة، فدفنوه بظاهر الكوفة، ثم دفن الناس بعد ذلك مَوتاهم بالظَّهر[١].

وقد ذكرنا أن أمير المؤمنين لما عاد من صِفّين رأى على الظَّهر قُبوراً سبعة أو ثمانية، فقال: ما هذه؟ فقال له قُدامة [بن] العَجْلان[٢]: يا أمير المؤمنين، إن خَبّاباً بعد مَخرجِك توفّي، وأوصى أن يُدفَن في الظَّهر، فنزل عليّ وصلَّى عليه، وقال: رحمه الله، لقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في بدنه أحوالاً، فلن يُضيع الله أجرَ مَن أحسن عملاً.

وقال الواقدي: عاش خَبّاب ثلاثاً وسبعين سنة، وقيل: ثلاثاً وستّين سنة.

أسند خباب عن رسول الله ﷺ اثنين وثلاثين حديثاً، أخرج له في الصحيحين ستة أحاديث، اتّفقا على ثلاثة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديث[٣].

وليس في الصحابة مَن اسمُه خبّاب بن الأرتّ سواه، فأما خَبّاب غير ابن الأرتّ فثلاثة: خَبَّاب أبو[٤] إبراهيم الخُزاعيّ، له صُحبة وليس له رواية، وقد ذكرناه. [وخَبّاب أبو يحيى، مولى عُتبة بن غَزوان، وخَبّاب والد عطاء، له إدراك].

وأخرج أحمد لخَبَّاب تسعة أحاديث، قد ذكرنا بعضها.

ومن مسانيد خباب: قال أحمد[٥] بإسناده عن عبد الله بن خباب، عن أبيه قال: إنا لَقُعودٌ على باب رسول الله ﷺ ننتظر أن يخرج إلى الصلاة للظُّهر، إذ خرج علينا فقال:

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٣، وأنساب الأشراف ١/ ٢٠٢ـ٢٠٣.
(٢) في (خ) و(ع): قدامة العجلاني، والمثبت من الطبري ٥/ ٦١.
(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩١، والسير ٢/ ٣٢٤ـ٣٢٥.
(٤) في (خ): ابن، وهو خطأ، والمثبت من تلقيح فهوم أهل الأثر ١٨٥ وما سيرد بين حاصرتين منه. والإصابة ١/ ٤١٧.
(٥) في المسند (٢٧٢١٨).

«اسمعوا»، قلنا: سمعنا، فقال: «اسمعوا»، قلنا: سمعنا، قال: «سيكون عليكم أُمراء، فلا تُعينوهم على ظُلمهم، ولا تُصدّقوهم بكذبهم؛ فإنه مَن أعانهم على ظُلمهم، وصدَّقهم بكَذِبهم، فلن يَرِدِ عليَّ الحوض».

وفي أفراد مسلم، عن خَبّاب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ شِدَّةَ الرَّمْضَاء فلم يُشْكِنا. قال شُعبة: يعني في الظُّهر[١].

قلت: وبهذا الحديث يحتجُّ الشافعي على أن المصلّي لو سجد على فاضل ثوبه لم يُجزه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، قال أبو حنيفة ومالك: يجوز، وعلى هذا الخلاف لو سجد على كُور عمامته أجزأه عند أبي حنيفة ومالك، وعند الشافعي لا يجوز، واحتجّ بحديث خبّاب، ولأنه سجد على حائل بينه وبين الأرض، وهو حامل له فصار كما لو سجد على يديه، ولأبي حنيفة ما رَوى البخاري عن أنس قال: كنّا نصلي مع النبي ﷺ، فيضع أحدنا طرفَ ثوبه من شدَّةِ الحرِّ في مكان سجوده[٢].

وأما حديث خَبَّاب فقال أبو عبيد: معنى فلم يُشْكِنا، أي: لم يَدَعْنا في الشِّكاية؛ بل أزال عنا ذلك، وهذه لغة العرب[٣]، بخلاف ما إذا سجد على يديه؛ لأن يديه ليسا بمحلّ السّجود.

فصل وفيها توفّي

خُزَيمة بنُ ثابت

ابن الفاكِه بن ثعلبة بن خَطْمَة[٤] عبدِ الله بن جُشَم[٥]، وخُزيمة بن ثابت من الطبقة الثالثة من الأنصار.

قال ابن سعد: كان يكسر أصنامَ بني خَطْمَة، وكنيته أبو عُمارة، شهد أُحداً

---

(١) صحيح مسلم (٦١٩)، وهو في المسند (٢١٠٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٥)، وصحيح مسلم (٦٢٠)، وانظر في هذه المسألة فتح الباري لابن رجب ٣/ ٣٢ـ٤٠ ، والمغني لابن قدامة ٢/ ١٩٧ـ١٩٩ .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث (شكو) ففيه عكس هذا المعنى. ولم أقف على كلام أبي عبيد.

(٤) بين ثابت وخطمة أربعة آباء.

(٥) في (خ): خيثم، وهو خطأ، انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٧ ، وتاريخ دمشق ٥/ ٦٠٧ ، والإصابة ١/ ٤٢٥.

والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ، ويقال له: ذو الشَّهادَتَيْن، وأُمُّه: كُبَيْشَة بنت أوس ابن عديّ [بن أميّة بن عامر بن] خَطْمَة أيضاً[١].

قال أحمد بإسناده عن عمارة بن خُزيمة الأنصاري، أن عمَّه حدَّثه وهو من أصحاب رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ ابتاع فرَساً من أعرابيٍّ، فاستَتْبَعَه رسولُ الله ﷺ ليَقْبِضَ ثَمنَه، فأسرع رسول الله ﷺ المَشْيَ، وأبْطأ الأعرابيّ، وطَفِق رجالٌ يَعترضون الأعرابيّ ويُساومونه الفرس، ولا يَشعرون أن رسول الله ﷺ ابتاعَه، حتى زاد بعضُهم في الثَّمن، فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ: إن كُنتَ مُبْتاعاً لهذا الفَرَس وإلا بعتُه، فقال: «أليس قد ابتَعْتُه منك؟» قال: لا والله، فقال رسول الله ﷺ: «بلى»، فقال: هَلُمَّ شهيداً، وطَفِق المسلمون يَلوذون برسول الله ﷺ ويقولون: وَيْحك، وإن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقاً، فجاء خُزيمة بن ثابت فقال: أنا أشهد أنك بايَعْتَه، فقال له رسول الله ﷺ: «بم تَشْهد يا خُزيمة ولم تكن معنا؟» فقال: أشهد بتصديقك، وإنَّا قد آمنَّاك على أكثر من هذا، وفي رواية: أنا أُصدِّقُك في خبر السماء، ألا أُصَدِّقُك في هذا؟ فجعل رسول الله ﷺ شهادتَه بشهادةِ رجُلَين[٢].

الكلام على الحديث: قال الواقديّ: لم يُسمّ لنا أخو خُزَيمة راوي هذا الحديث، وكان له أخوان: عبد الله، وهو أخو خُزَيمة لأبيه وأُمّه، وأمهما كُبَيْشَة، وله عَقِب، والآخر يُقال له: وَحْوَح، ولا عَقِب له[٣].

وقال ابنُ لَهِيْعة: اسم الأعرابي الذي باع الفَرَس: سَوَّار بن قيس المُحارِبيّ.

فإن قيل: فالحكم لا يَثبت إلا بشهادة شاهدَين! فالجواب من وجهين: أحدهما: أن رسول الله ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه، وشهادة خُزيمة أكَّدت ذلك، فصار بمنزلة شاهدَيْن، أو شاهد ويمين في جميع الأحكام. وهذا جواب أبي سليمان الخَطّابي[٤]، لكن إنما يُخرَّج على قولِ مَن يَرى أن الحُكم يَثبت بشاهد ويَمين، ويَرى أن الحاكم يحكم بعلمه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٧.
(٢) مسند أحمد (٢١٨٨٣).
(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٨.
(٤) في معالم الحديث ٤/ ١٧٣.

والثاني: أن رسول الله ﷺ كان مخصوصاً بذلك، فحينئذٍ لا خلاف.

وقال الواقدي: شهد خُزَيمة يوم مُؤْتَه فقال: بارزتُ رجلاً فأصبتُه، وكان على رأسه بَيضة فيها ياقوتةٌ حمراء، فأخذتُها وأتيتُ بها النبي ﷺ، فَنَفَلَنيها، فبعتُها في زمن عمر ابن الخطاب بمئة دينار، فاشتريتُ بها حديقةَ نخلٍ في بني خَطْمَةَ[١].

ذكر وفاته:

عامة العلماء على أنه قُتل بصفين.

قال سيف: مات في أيام عثمان، وهو وهم منه.

قال أحمد بن حنبل بإسناده، عن محمد بن عُمارة بن خُزَيمة بن ثابت قال: ما زال جدّي مع علي عليه السلام بصفّين كافًّا سلاحَه ـ وكذا كان يوم الجمل ـ حتى قُتل عمار يومَ صفين ـ أو بصفّين ـ فقال خزيمة: الله أكبر، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلُك الفِئةُ الباغية»، فسَلّ سيفَه، فقاتل حتى قُتل[٢].

ورواه ابن عبد البر قال: فدخل فُسطاطه فاغتسل، ثم لبس سلاحَه وقال: قد بان لي الأمر، ثم حمل فقاتل حتى قُتل، وهو ابن سبع وسبعين سنة[٣].

وكذا حكى جدي رحمه الله في «المنتظم»[٤] عن الواقدي أنه قال: شهد خُزيمة صفّين مع علي عليه السلام وقُتل يومئذ، وكانت يوم الفتح رايةُ بني خَطْمَة مع خزيمة.

وكان له من الولد عبد الله وعبد الرحمن وعُمارة، وأمُّهم جَميلة بنت زيد، وقيل: أمُّ عُمارة: صَفيّة بنت عامر[٥].

أسند خُزيمة عن رسول الله ﷺ أحاديث، وأخرج له أحمد منها سبعة، وليس في الصحيح سِوى حديث واحد، انفرد بإخراجه مسلم، وهو في مُسند أسامة بن زيد لاشتراكهما في روايته[٦].

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٧٦٩ ووقع فيه تصحيف وخطأ من المحقق.
(٢) مسند أحمد (٢١٨٧٣).
(٣) الاستيعاب (٦٣٩).
(٤) ٥/ ١٤٠.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٧.
(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩١، والحديث في صحيح مسلم (٢٢١٨) (٩٧) في الطاعون.

وروى خزيمة عن علي عليه السلام وجماعة من الصحابة، وروى عنه جابر بن عبد الله وابناه عبد الله وعُمارة في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه خُزَيمة بن ثابت غيره.

وقال أحمد بإسناده عن خُزَيمة بن ثابت: أنه رأى في المنام أنه يُقَبِّل النبي ﷺ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره بذلك، فناوله النبي ﷺ فقبَّل وَجْهه.

وفي رواية أحمد أيضاً: أن خزيمة رأى في منامه كأنه سَجد على جَبهةِ رسول الله ﷺ، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «صدقتْ رُؤياك»، واضطجع، فسجد خُزَيمة على جبهة رسول الله ﷺ[(١)].

وفيها توفي

ذو الكَلاَع

وكُنيته أبو شُرَحْبيل، وقيل: أبو شَراحيل الحِميريّ، وهو ابن عمّ كعب الأحبار، وقد ذكره الجوهريُّ فقال: ذو الكَلاع بالفتح: اسم مَلِكٍ من ملوك اليمن من الأَذْواء، قال: والكَلَع شُقاقٌ يكون في القَدَم[(٢)].

وقال ابن مَنْده: أدرك ذو الكَلاع رسول الله ﷺ، وكان في زمانه، ولم يره، وراسله بجرير بن عبد الله البَجَلِيّ.

قلت: وقد قرأتُ على شيخنا الموفَّق رحمه الله من كتاب «التَّوَّابين» عن الأصمعيّ قال: كان رسول الله ﷺ قد كاتب ذا الكَلاع من ملوك الطَّوائف على يد جرير بن عبد الله، يدعوه إلى الإسلام، وكان قد استَعْلى أمرُه حتى ادَّعى الرُّبوبيَّة، وأُطيع، حتى توفِّي رسول الله ﷺ قبل عَودة جرير، وأقام ذو الكَلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر، ثم رَغِب في الإسلام، فقدم على عمر ومعه ثمانيةُ آلاف عبد، فأسلم على يده، وأعتق منهم أربعة آلاف، فقال له عمر: بِعْني ما بقي وأعطيك ثُلُثَ أثمانهم باليمن، وثُلُثاً

(١) مسند أحمد (٢١٨٦٣) و(٢١٨٦٤). وانظر في ترجمة خزيمة إضافة إلى ما ذكر من مصادر: طبقات ابن سعد ٨/ ١٧٤، والاستبصار ٢٦٧، والسير ٢/ ٤٨٥، وتهذيب الكمال وفروعه.

(٢) الصحاح (كلع) ٣/ ١٢٧٧.

بالشام، وثُلثاً هاهنا، فقال: أَجِّلْني يومي حتى أُفَكِّر، ومضى إلى منزله فأعتق الجميع، فلما غدا على عمر قال له: ما رأيك فيما ذكرته لك؟

فقال: قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيتَ. قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لوَجْهِ الله تعالى. فقال له عمر: أصَبْتَ.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، لي ذنبٌ ما أظنُّ اللهَ يَغفِرْه لي. قال: وما هو؟ قال: تَواريتُ عمّن يَتعبَّدُ لي، ثم أشرفتُ عليهم من مكانٍ عالٍ، فسجد لي زُهاء عن مئة ألف إنسان، فقال له عمر: التوبةُ بالإخلاص، والإنابَةُ بالإقْلاع، يُرجَى بهما مع رَأفةِ الله الغُفران، قال الله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ الآية [الزمر: ٥٣][(١)].

وذكر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» زيادةً على هذا، عن يزيد بن هارون قال: كان عند ذي الكلاع اثنا عشر ألف بيت من المسلمين، فبعث إليه عمر لِيَشتريَهم لِيَستعينَ بهم على عدوِّ المسلمين، فأعتقهم ذو الكَلاع في ساعةٍ واحدة[(٢)].

وقرأت أيضاً على الموفَّق من كتاب «التوابين» قال: ذكر محمد بن أحمد بإسناده عن علوان بن داود، عن رجل من قومه قال: بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكَلاع، فأقمت على بابه سَنَةً لا أصِلُ إليه، ثم اطَّلع من قصره، فلم يبق مِن حول القصر إلا مَن خَرَّ له ساجداً، ثم أمر بهديَّتي فقُبِلَتْ.

ثم رأيتُه في الإسلام قد اشترى لحماً بدرهم، وسَمَّطه على فرسه وهو يقول: [من الرمل]

أُفٍّ للدُّنيا إذا كانت كذا ... كلَّ يوم أنا منها في أذَى
ولقد كنتُ إذا ما قيل مَن ... أنعمُ النَّاس معاشاً قيلَ ذا
ثم بُدِّلْتُ بعيشي شِقْوَةً ... حَبَّذا هذا شَقاءً حَبَّذا[(٣)]

(١) التوابين ١٥٨، والمنتظم ٤/ ٨.
(٢) تاريخ دمشق ٦/ ١٤٧.
(٣) التوابين ١٥٧، والمنتظم ٤/ ٧-٨، وتاريخ دمشق ٦/ ١٤٢ (مخطوط).

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» وقال: عن جرير بن عبد الله قال: بَعثني رسول الله ﷺ إلى ذي كَلاع وذي عَمرو، فأسلما، وقال لي ذو كلاع: ادخُل على أُمّ شُرَحْبيل، ووالله ما دخل عليها أحدٌ بعد أبي شُرَحبيل قبلك.

وقال أيضاً عن جرير: فلقيت ذا كَلاع وذا عمرو، فجعلتُ أُحدِّثُهما عن رسول الله ﷺ، فأقبلا معي، حتى إذا كنا ببعض الطريق رُفِع لنا رَكْبٌ من نحو المدينة، فسألناهم فقالوا: قُبِضَ رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر، فرَجَعا إلى اليمن وقالا: أخبرْ صاحبَك أنّنا سنعود[1].

وقال هشام بن محمد: خرج ذو كلاع إلى الشام مجاهداً بأهله وماله في أيام عمر، واتَّفق قتلُ عثمان بن عفان، فانضاف إلى معاوية، فقدَّمه على جيوشه، وكان شُجاعاً جَواداً.

وحكى ابن عساكر قال: قال معاوية لذي الكلاع: قُمْ فاخطُب الناس، وحرِّضْهم على قتال علي وأهل العراق، فقعد على فرسه، وكان من أعظم أصحاب معاوية خَطَراً؛ فحمد الله وأثنى عليه وذكر كلاماً طويلاً اختصرتُه، فمنه أنه قال:

وقد كان من قضاء الله تعالى وقَدَرِه أنه جمع بيننا وبين أهلِ ديننا بصفّين، وإنا لنَعلم أن منهم قوماً قد كانت لهم سَوابِقُ مع رسول الله ﷺ ذات شأنٍ وخَطَرٍ عظيم، ولكنّا قَلَّبنا هذا الأمر ظهراً وبَطْناً؛ فلم يَسَعْنا أن نَهْدِرَ دمَ عثمان، فإن كان أذنَبَ ذنباً فقد أذنبَ مَن هو خيرٌ منه؛ قال الله تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه: ١٢١]، واستغفر فغُفِر له، وقتل موسى نَفْساً، واستغفر فغُفِر له، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢]، فلم يَعْرَ أحدٌ من ذنب، وإنا لنعلم أنه قد كانت لابن أبي طالب [سابقة] حَسَنةٌ مع رسول الله ﷺ، فإن لم يكن قد مالأ على عثمان فقد خَذَلَه، وإنه لأخوه في دينه وابن عمّه وابن عَمته، وها هو قد أقبل في أهل العراق حتى نزل بساحتكم، ووَطِئ بيضَتَكم، وإنما عامة الذين معه بين قاتلٍ وخاذل، فاستعينوا بالله واصبروا، فقد ابتُليتُم أيتها الأمة، والله لقد رأيتُ في هذه الليلة في منامي كأنا نحن

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٣٩-١٤٠ (مخطوط).

وأهل العراق قد اعتَوَرْنا مُصحَفاً، ونحن نضربه بأسيافنا وهو يصيح: الله الله. اللهمَّ أنزِلْ علينا النصر، وأفرغ علينا الصبر[١].. وذكر ألفاظاً أُخَر.

وحكى ابن عساكر أيضاً، عن أبي نوحٍ الحِميريّ قال: إني لواقفٌ يوم صفّين في عسكر أمير المؤمنين؛ إذ نادى رجلٌ من أهل الشام: مَن يَدُلُّني على أبي نوحٍ الحِميريّ؟ فقلتُ: أنا أبو نوح، فمن أنت؟ فقال: ذو كَلَع، فسِرْ إليّ، فقلت: مَعاذ الله أن أسيرَ إليك إلا في كتيبة، فقال: لا بأس عليك، أنت في ذِمَّة الله وذِمَّتي، إنما أُريد أن أسألك عن أمر، قال: فسرتُ إليه فقال: حدثني عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «يلتقي أهلُ العراق وأهلُ الشام، في إحدى الكتيبتين الحقُّ، ومعهما عمار بن ياسر»، أفيكم عمار بن ياسر؟ قال فقلت: إي والله هو معنا، قال: أجادٌّ هو في قتالنا؟ قلت: إي وربّ الكعبة، وإنه يَودُّ لو أنكم حَلْقٌ واحد فذَبَحه.

قال ابن عساكر: وكان ذو كَلاع قد سمع من عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفِئة الباغية»، فكان يوم صفّين يقول لعمرو: وَيحك يا عمرو ما هذا؟ فيقول عمرو: سيرجع إلينا عمار، فقُتل ذو الكَلاع وعمار في يوم واحد، قتل ذو الكَلاع أولاً.

قال: وكان معاوية خائفاً منه أن ينتقل إلى عسكر علي عليه السلام، فقيل لمعاوية: قُتل ذو كلاع وعمار، فقال معاوية: لا أدري بم أُسَرّ؛ بقتل عمار أو بذي كلاع؟! وإني لأشدُّ فرَحاً بقتله من فتح مصر، لأنه كان يعترض عليّ في أشياء، وكان ميلُه إلى علي.

وقال ابن عساكر أيضاً: ولما قُتل ذو كلاع دخل ابنُه عسكر أمير المؤمنين، فوجده مَربوطاً برِجْله بطُنُبٍ إلى جانب فُسطاط، وكان مع ابنه عبدٌ أسود وبَغْل، فقال: يا أهل الفُسطاط، أتأذنون لنا في حمله ـ وكان سميناً قد انتَفَخ ـ فأَذِنوا له، ولم يساعدوهم عليه فقال ابنُه: ألا فتى مِعْوانٌ على الخير؟ فخرج إليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين يقال له: الخندق، فقال: تَنَحّوا، فقال ابنه: ومَن يَحمله؟ فقال الخندق: الذي قتله، ثم احتمله حتى رمى به على ظهر البغل، فانطلقا به إلى عسكر الشام.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٤٤ـ١٤٥ .

وقيل: إنما قتله هاشم المِرقال، وسنذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عساكر: أسند ذو الكلاع الحديث عن عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وعوف بن مالك.

وروى عنه: زامِل بن عَمرو الجُذَامِيّ، وأبو نوح الحِميريّ، وغيره.

وسكن حمص، وكانت له بدمشق حَوانيت عند باب الجابية من الجانب القِبلي، قال: وشهد وَقْعةَ اليرموك، وفَتْحَ دمشق(١).

وفيها توفي

سُحَيْم عَبدُ بني الحَسْحاس

كان عَبْداً حبشيّاً أدرك الجاهلية.

قال الزبير بن بَكّار: اشتراه عبد الله بن عامر(٢)، وأهداه إلى عثمان بن عفان وكتب إليه: إني قد ابتعتُ لك غلاماً حبشيًّا شاعراً، فردّه عثمان عليه وكتب إليه: لا حاجةَ لي به؛ فإنما قُصارى العبد الشاعر إنْ شَبع شَبَّب بنساء مواليه، وإن جاع هجاهم، فباعه ابن عامر، فاشتراه رجل من بني الحَسْحاس، وكان سُحَيم أعجميَّ اللسان.

وقال الزبير بن بَكار: كان سُحيم يهوى ابنةَ مولاه، واسمها عُمَيْرة بنت أبي مَعْبد، وكتم حبّها، فخرج مولاه أبو مَعْبد في سفر، وخرج به معه، فقال سحيم: [من الطويل]

عُميرةَ وَدِّعْ إن تَجَهَّزتَ غازِيا ... كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهِيا

وأفْحَش فيها فقال:

وبِتْنا وِسادانا إلى عَلَجانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهاداه الرِّياح تهاديا

تُوسِّدني كفًّا وتَثْني بِمِعْصَم ... عليَّ وتحوي رِجلَها من وَرائيا

وهَبَّت شَمالٌ آخرَ الليلِ قَرَّةٌ ... ولا بُرْدَ إلا دِرْعُها وردائيا(٣)

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٣٩ و١٤٥ـ١٤٦ (مخطوط)، وانظر طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤٤، والمعارف ٤٢١، والاستيعاب (٧١٥)، والإصابة ١/ ٤٩٢.

(٢) في الشعر والشعراء ٤٠٨، والأغاني ٢٢/ ٣٠٥، والمنتظم ٥/ ١٤١: عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

(٣) المنتظم ٥/ ١٤١ـ١٤٢، وانظر طبقات فحول الشعراء ١٨٧ـ١٨٨.

وقرأتُ على عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن الطُّوسي كتاب «اعتِلال القلوب» لأبي بكر الخرائطي قال: حدثني أبو يوسف الزُّهري قال حدثنا الزبير بن بكار قال: لما ذهب أبو مَعْبَد بسُحيم إلى المدينة ليبيعه ـ قال: وفي رواية: كان سُحيم عبداً فباعه مولاه ـ فقال: [من الطويل]

وما كنتُ أخشى مَعْبداً أن يَبيعَني ... ولو[1] أصحبتْ كفَّاه من ماله صُفْرا

أخوكم ومَولاكم وكاتم سِرِّكم ... ومن [قد] ربا فيكم وعاشَركم دَهْرا

أشوقاً ولما يمضِ[2] لي غيرُ ليلةٍ ... فكيف وقد جدَّ المَطِيُّ بنا عَشْرا

وفي غير رواية الخرائطي: فرقّ له مولاه وردّه، ثم إنه عَشِق امرأةً من أهل بيت مولاه، فأخذوه وأحرقوه.

وقال ابن قتيبة: سَقَوه الخمر، وعرضوا عليه نِسوة، فلما مرَّتْ به التي كان يُشير إليها، ويُتَّهم بها، أهوى إليها، فقتلوه[3].

وسُحَيْم هو الذي دخل على عمر بن الخطاب فأنشده: [من الطويل]

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تَجهَّزْتَ غازيا ... كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهِيا

فقال له عمر: لو قدَّمْت الإسلام على الشَّيب لأجَزْتُك، فقال: يا أمير المؤمنين، الرويُّ والقافية ألجأني إلى هذا، فأجازه.

وفيها توفي

عبد الله بن الأرْقَم

ابن عَبْدِ يَغوث [بن وَهْب] بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة، أسلم يوم الفتح، وكتب لرسول الله ﷺ جوابَ كتاب فأعجبه، وكتب لأبي بكر وعمر.

وقال هشام: وَرَد على رسول الله ﷺ كتابٌ فقال: «مَن يُجيب عنه؟» فقال ابن

---

(١) في (خ): أن يبيعني بمال ولو.

(٢) في (خ): أأشتاق ولم يمض؟! والأبيات في اعتلال القلوب ٢٨٦، والأغاني ٢٢/٣٠٦، ومصارع العشاق ١/١٤٨.

(٣) الشعر والشعراء ٤٠٩.

الأرقم: أنا، فأجاب فوافق ما كان في خاطر النبيِّ ﷺ، وبقي ذلك في قلب عمر، فلما وَلي استعمله على بيت المال، وكان عمر يقول: ما رأيتُ أخشى لله منه.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن جعفر، عن أمِّ بكر بنت المِسْوَر، عن أبيها قال: وَلّى عمر عبد الله بنَ الأرقم الزُّهري بيتَ مال المسلمين، وكان عمر يَستَسلِفُ من بيت المال، فإذا خرج العَطاءُ جاءه عبد الله يتقاضاه فيقضيه، فلما ولي عثمان أقرّه على بيت المال، وكان يستسلف منه ثم يقضيه، فاجتمع عند عثمان مالٌ كثير، وحضر وقت العطاء، فقال لعثمان: أدِّ المالَ الذي استسلفتَ، فقال له عثمان: وما أنت وذاك؛ إنما أنت خازني، فخرج عبد الله، فصَعِد المنبر، وصاح بالناس فاجتمعوا، فأخبرهم بما قال عثمان، ثم قال: هذه مفاتيح بيتِ مالكم، فألقاها وذهب[١].

ولما ردَّ المفاتيح استخزن عثمانُ زيد بنَ ثابت على بيت المال.

وليس في الصحابة من اسمه عبد الله بن الأرقم غيره، وله صُحبة ورواية[٢].

وفيها توفّي

عبد الله بن بُدَيْل

ابن وَرْقاء الخُزاعي، وأبوه بُدَيْل هو الذي كان سببَ فتح مكة، وقد ذكرناه[٣].

وقال هشام بن محمد: قُتل ابنُ بُدَيْل يوم صفّين مع علي عليه السلام، وقُتل معه أخوه عبد الرحمن، وكانا من رؤوس القُرَّاء، ولما مرّ عليهما أمير المؤمنين بكى وتأسّف عليهما، ومرّ معاوية بعبد الله بن بُدَيْل، فأراد أن يُمثِّل به، فنهاه عبد الله بن عامر، وغطَّاه بعمامته، وقال: هذا سيِّد خُزاعة غيرَ مُدَافَع.

وقال هشام: قتلَه حُمران مولى عثمان بن عفان[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ٨/ ٩٧، والاستيعاب (١٣٠٠)، والمنتظم ٥/ ١٤٢، والتبيين ٢٩٤، والسير ٢/ ٤٨٢، والإصابة ٢/ ٢٧٣.

(٣) سلف في السيرة.

(٤) مروج الذهب ٤/ ٣٦٥ و٣٧٣، والاستيعاب (١٣١٦)، والإصابة ٢/ ٢٨٠.

وفيها توفي

عبد الله بن الحارث

أخو الأشتر النَّخَعي، كان شجاعاً جواداً، أفنى خلقاً من أهل الشام حتى قتلوه.

وفيها توفي

عبد الله بن خَبّاب ابن الأَرَتّ

وُلد في حياة رسول الله ﷺ، وكان مَوصوفاً بالخير والصّلاح، قتلته الخوارج بالنّهروان، وقد ذكرناه.

وروى أبو بكر الخطيب قصَّتَه بإسناده إلى أبي الأحوص، وفيها زيادة، قال أبو الأحوص: كنا مع علي يوم النّهر، فجاءت الحَروريّة فنزلت من وراء النهر، فقال علي: والله لا يُقتَل اليومَ رجلٌ من وراء النَّهر ـ قالها ثلاثاً ـ فقالت الحرورية: يرى عليٌّ[1] أنّا نخافه، فذهبوا إلى منزل عبد الله بن خَبَّاب، وكان منزله على شطِّ النهر، فأخرجوه من منزله وقالوا: حدّثنا بحديثٍ حدَّثَك به أبوك سمعه من رسول الله ﷺ، فحدّثهم حديثَ الفتنة الذي ذكرناه، فذبحوه، وبَقَروا بطنَ أمِّ ولده. فأُخبر أميرُ المؤمنين بما صنعوا فقال: الله أكبر، نادوهم: أَخرِجوا إلينا قاتلَ عبد الله بن خَبّاب، فقالوا: كلُّنا قتلَه ـ قالوها ثلاثاً ـ فقال علي عليه السلام لأصحابه: دونكم القوم فقتلوهم[2].

وفيها توفي

عبد خَيْر بن يَزيد الخَيْرانيّ الهَمْداني

ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وقال: وقُتل عبد خَيْر ابن محمد بن خولي من ولد كَهلان بن سَبأ، وكُنيته أبو عُمارة[3].

---

(١) في (خ): ترى يرى علياً؟!

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٠٥ـ٣٠٦، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٨١، والاستيعاب (١٣٦٢)، والمنتظم ٥/ ١٤٣، والإصابة ٢/ ٣٠٢.

(٣) كذا؟! والذي في طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤١: عبد خير بن يزيد الخيواني من هَمْدان، روى عن علي بن =

واختلفوا في وفاته، قال الهيثم: قُتل بصفّين، وقال أبو القاسم بن عساكر: عاش إلى سنة أربع عشرة ومئة، وأدرك زمان رسول الله ﷺ ولم يَلْقَه[1]، وكان ثقةً، عاش عشرين ومئة سنة، روى أحاديث.

وحكى ابن عساكر عن البخاري أنه قال: قيل لعَبْد خَيْر: كم أتى عليك؟ فقال: عشرون ومئة سنة، كنتُ غلاماً باليمن، فجاءنا كتاب رسول الله ﷺ، فأسلم أبي وأهلي وأنا[2].

قال: وحكي أنه حضر مع علي عليه السلام النَّهْرَوان.

وروى عن علي أخباراً كثيرة، وروى عنه أبو إسحاق السَّبِيعيّ، وحَبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن السائب، وإسماعيل السُّدِّي في آخَرين.

وفيها توفي

عُبيد الله بن عمر بن الخَّطاب

وكنيته أبو عيسى، أدرك رسولَ الله ﷺ، وقُتل في اليوم الذي قُتل فيه عمار بن ياسر.

وقال ابن سعد: وأمُّه أمّ كُلثوم بنت جَرْوَل بن مالك، خُزاعية[3].

وكان الإسلام قد فَرّق بين عمر وبين أمّ كلثوم بنت جَرْوَل. وأخوه لأمّه وأبيه زيد الأصغر، وأخوهما لأمهما عُبيد الله بن أبي جَهْم بن حُذَيفة بن غانِم.

وقال أبو نُعيم: ضرب عمر ابنَه عبيد الله بالدِّرَّة، وقال: إنه كني بأبي عيسى، أوَكان لعيسى أب؟ إنما كنيةُ العرب: أبو سلمة، أبو قتادة ونحوه، وليس هذا من كُنى العرب[4].

= أبي طالب، وشهد معه صفّين، وبارز وقَتل، ويكنى أبا عمارة، وقد روي عنه الحديث. اهـ.
أما مانقله المصنف عن الطبقات فهو في تاريخ بغداد ١/ ١٢٤-١٢٥ ، والاستيعاب (١٦٧٠)، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٦٩ .

(١) وكذا ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٧/ ١٦٠ في وفيات سنة (١١٤هـ).

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ١٣٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٤٧-٣٤٨ من طريق الزبير بن بكار، بإسناده إلى أسلم، بأطول =

وحكى ابن عساكر: أن عُبيد الله سبّ المقداد بن الأسود، فأراد عمر أن يقطع لسانه، وقال: لئلّا يَجترئ أحدٌ بعده على أصحاب رسول الله ﷺ، فسألوه فيه فتركه[(١)].

وقد ذكرنا عبيد الله في قَتْلِ الهُرْمُزان وجُفَيْنَة وبنت أبي لُؤلؤة، وأن عثمان أراد قتلَه، ثم وَدَى عثمان الهرمزان. وأقام عبيد الله بالمدينة وعلي عليه السلام يَتهدَّدُه، فلما قُتل عثمان هرب عُبيد الله إلى معاوية فجعله على أَعِنَّةِ الخيل، فقُتل معه بصفّين.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، فيمن وُلد على عهد رسول الله ﷺ[(٢)].

وقال الواقدي: التقى عمار بعُبيد الله يوم صفّين، فقال عبيد الله: أنا الطيِّبُ بن الطيب، فقال عمار: كذَبْتَ، بل أنت الخبيث بن الطيب.

قال: وبلغنا أن عبيد الله قطع أُذُن عمار يومئذ، قال: والثَّبْتُ عندنا أن أُذُن عمار قُطعت يوم اليمامة[(٣)].

قال: وأقرع معاوية بين الناس بصفين، فخرج سَهْمُ عبيد الله بن عمر على ربيعة، فبرز إليها، وأحضر امرأتَيه للقتال لينظرا إلى قتاله، وكان عنده أسماء بنت عُطارد بن حاجب بن زُرارة التميمي، وبَحريّة بنت هانئ بن قَبِيصَةَ الشَّيباني، ودفع إليه معاوية الكَتيبة الشَّهباء، وكانت أشدَّ العَسكر، فيها اثنا عشر ألفاً، فقال له بعض مواليه: إنما يُقَدِّمُك معاوية إلى الموت، لأنك قد ثَقُلْتَ عليه، فإن قُتلتَ استراح منك، وإن ظَفِرتَ كان الصِّيتُ له.

وقالت له بَحريّة: قد فشا ذِكرُك في الناس، وقد حسدك معاوية، وهذا أمر قد أبرَمَه هو وعمرو بن العاص، وهذه الكتيبة مثل التابوت؛ ما تَقَدَّمَها أحدٌ فرجع.

فلم يلتَفِتْ إليها، وتقدَّم إلى ربيعة وعليها يومئذ زياد بن خَصَفة التَّميمي، فشَدَّت ربيعة على الكتيبة الشهباء، فأنكت فيها فانهزمت، وقتلوا عبيد الله، وضُرب فُسطاط زياد بن

= وأوضح مما هنا.

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٤٨ـ٣٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣.

خَصَفة، فبقي طُنْبٌ ماله وَتد، وعبيد الله قتيلٌ هناك، فشَدُّوا الطُّنب في رِجل عبيد الله.

وأقبلت امرأتان فوقفتا عليه، وصرختا وبكتا، فقال زياد: مَن هاتان؟ قالوا: أسماء وبَحريَّة، قال: وما يطلبان؟ قالوا: جيفَةَ عُبيد الله، فأرسل إلى أمير المؤمنين يَسألُه في ذلك، فقال: إنما هي جيفة كلب، لا يحلُّ بَيْعُها، فدفعه إليهم، فحملوه على بَغْلٍ، فذكروا أن يَدَيْه ورجلَيْه كانتا تَخطَّان الأرض، قال: وسُرَّ معاوية بقتله، كما سُرَّ بقتل ذي كَلَع.

قال الواقدي: ولما حُمل خرج معاوية ومعه سرير، فتلقّاه وحمله عليه، وجعل يبكي ويقول: قُتل ابن الفاروق في طاعة خليفتكم فترحَّموا عليه، ثم حفر له وصلّى عليه ودَفَنَه.

وفي رواية ابن سعد عن الواقديّ قال: فلما سمعت بَحرِيّة كلامَ معاوية قالت: أما أنت فقد عَجَّلْتَ يُتْمَ وَلَدِه، وذهابَ نَفْسه، ثم الخوف عليه لما بعد أعظم، فقال معاوية لعمرو: ألا تسمع ما تقول هذه؟ فقال له عمرو: إن لم تُغْضِ عما ترى كنتَ من نفسك في غَمّ، لقد قال الناس فيمن هو خيرٌ منك، فقال معاوية: هذا والله رأيي الذي ورثْتُه عن أبي.

وقال أبو اليقظان: قيل لأمير المؤمنين هذا عبيد الله بن عمر عليه جُبَّةُ خَزٍّ، وفي يده مِسواك، وهو يقول: سيعلم عليٌّ إذا التقينا غداً. فقال علي: دعوه فإنما دَمُه دم عصفور.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: مرّ الحسن بن علي في الليل على رجلٍ من هَمْدان، وعنده قتيلٌ قد شَدَّ مِقوَدَ فرسه برجله، فقال: مَن هذا؟ قال: لا أدري، فنزل الحسن فتأمَّله، فإذا به عبيد الله بن عمر، فجاء فأخبر أميرَ المؤمنين، فنفَّله سَلَبه، وكان يساوي أربعة آلاف درهم.

واختلفوا في قاتله؛ فحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: قد اختُلف علينا في قاتل عبيد الله بن عمر، فقيل: قتله عمار، وقيل: رجل من بني حَنيفة، وقيل: رجل من هَمْدان، وقيل: الأشتر النَّخعي، وقيل: المِرْقال في آخرين.

وقيل: إن أمير المؤمنين قتله، فحكى المسعوديّ قال: ضربه أمير المؤمنين ضربةً بالسيف، فقطعت ما عليه من الحديد، وخالطت حُشْوَة جوفه فقتلته، وكان علي عليه السلام يقول: لئن فاتني الفاسق يومَ الهرمزان؛ فما فاتني يوم صفين.

وقال هشام: وقع عبيد الله إلى الأرض وبه رَمَق، فرآه المِرقال هاشم بن عُتبة وهو جريح، وكان قريباً منه، فدبّ إليه، فقبض على ثُنْدُوَتِه بأسنانه حتى مات(١).

وحكى أبو الفرج الأصفهاني في «مقاتل الطّالبيين» قال: خرج عُبيد الله بن عمر في كتيبة يُقال لها: الخضراء، وكان بإزائه محمد بن جعفر بن أبي طالب، وبيده راية أمير المؤمنين، ويقال لها: الجموح، وكانا في عشرة آلاف، فاقتتلوا قِتالا شديداً، فصاح عبيد الله بن عمر: فحتى متى هذا الحَذَر؟ ابرز إلي حتى أُناجزك، فبرز إليه محمد، فتَطاعنا حتى تكَسَّرت رماحهما، ثم تضاربا حتى انكسر سيفُ محمد، ونشب سيف عبيد الله في الدَّرَقة، فتعانقا، وعضّ كلُّ واحد منهما [أنفَ] صاحبه، فوقعا عن فرسيهما، وحمل أصحابهما فقتل منهما خلقٌ كثير، حتى صار عليهما مثل التَّلِّ العظيم من القتلى.

وحمل أمير المؤمنين فأزال أهلَ الشام وقال: اكشفوا لي هؤلاء القَتلى عن ابن أخي، فكشفوهم، وإذا بهما مُتعانقان ميّتان، فقال علي عليه السلام: والله لَعَنْ غير حُبٍّ تعانقتما.

ثم قال أبو الفرج الأصفهاني: وهذه رواية الضَّحاك بن عثمان، ولم أعلم أن أحداً من أهل السِّير ذكر أن محمد بن جعفر قَتَل عُبيد الله بن عمر، ولا سمعتُ لمحمد بن جعفر في كتاب أحدٍ منهم ذكر مَقتل.

ثم قال أبو الفرج: واختلفوا في قاتله؛ فقالت هَمْدَان: قتله هانئ بن الخطَّاب، وقالت حضرموت: قتله مالك بن عمرو النَّاطِفي(٢)، وقالت بكر بن وائل: قتله رجلٌ من تَيْم الله بن ثَعلبة يُقال له: مالك بن الصَّحْصَح بصري، وأخذ سيفَه ذا الوِشاح، فلما بويع لمعاوية بعث إليه إلى البصرة فأُخِذ منه، وكان سيفاً لا يُوجد مثله.

وقال ابن منده: لا يُعرف لعبيد الله بن عمر مسند يَصحّ.

---

(١) انظر في مقتل عبيد الله وقاتله: طبقات ابن سعد ٧/ ٢١ـ٢٣، والأخبار الطوال ١٧٨، ووقعة صفين ٢٩٧، ٣٣٠، ٣٥٥ـ٣٥٦، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥، ومروج الذهب ٤/ ٣٦٦ـ٣٦٨، والاستيعاب (١٦١٣)، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٣٦٣ و٣٦٥.

(٢) في مقاتل الطالبيين ٢١ـ٢٣: التُّبَّعي، وما بين معكوفين منه، وفي وقعة صفين ٢٩٨: السبيعي.

وقال الموفّق رحمه الله: ولد على عهد النبي ﷺ، ولا يُحفَظُ له رواية، ولا سمع منه، وكان من أَنْجاد قريش وفُرسانهم[(١)].

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد: أبو بكر وعمر وعثمان ومحمد[(٢)] وأمّ عثمان، وأمُّهم أسماء بنت عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التّميمي.

والحُرّ بن عبيد الله لأمٍّ وَلَد. وأمُّ عَبْس بنت عبيد الله، وأمها تَهْلُل بنت يزيد بن عَمرو ابن عُدُس، من بني البَكّاء. وحَفْصة بنت عبيد الله، وأمّها أسماء بنت زيد بن الخَطّاب أخي عمر.

وأم سلمة بنت عُبيد الله، وأمها تَهْلُل بنت يزيد، وقيل: أمّها أسماء بنت عُطارد. وأمّ حكيم لأمّ ولد.

وكان لعبيد الله ابنةٌ تزوَّجها المختار بن أبي عُبيد، فوَلَدت له رجُلين، وأمها أمّ وَلَد[(٣)]. انتهت ترجمة عبيد الله.

وفيها توفي

عمار بن ياسر

ابن عامر بن مالك، ونسبه ابن سعد[(٤)] إلى يَعرب بن قَحْطان.

وعمّار حَليفُ بني مَخزوم، وكنيته أبو اليَقظان، وكان جَدُّه مالك من رَهْط الأسود العَنْسِيّ.

وقال البَلاذُري[(٥)]: عَنْس بالنون، وكان عنْس يُسمَّى زيداً، وكُنية ياسر أبو عمار.

وقال ابن سعد: قدم ياسر وأخواه الحارث ومالك[(٦)]؛ بنو عامر من اليمن إلى مكة،

---

(١) التبيين ٤١٣.

(٢) في المخطوط زيادة: وعمرو، وهو خطأ.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨.

(٤) في طبقاته ٣/ ٢٢٧.

(٥) في أنساب الأشراف ١/ ١٨٠.

(٦) في (خ) و(ع): الحارث بن مالك، وهو خطأ، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٢٧.

يريدون أخاً لهم، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، فحالَف أبا حُذَيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فزوّجه أبو حُذَيفة أَمَةً له يُقال لها: سُمَيّة بنت خُبّاط، فولَدت له عماراً، فأعتقه أبو حُذَيفة، ولم يزل ياسر وعمار مع أبي حُذَيفة حتى مات، وجاء الإسلام فأسلم ياسر وعمار وسُميَّة وأخوه عبد الله بن ياسر.

قال: وكان لياسر ابنٌ آخر أكبر من عمار يُقال له: حُرَيْث، قتلَتْه بنو الدِّيل في الجاهلية.

قال: ومات ياسر، فخلف على سُميَّة بعده الأزْرَق، غلامٌ رومي للحارث بن كَلَدة الثّقفي، وكان قَيْناً، وهو ممّن خرج من الطائف إلى رسول الله ﷺ مع أبي بَكْرة، فأعتقهم رسول الله ﷺ.

فولدت سُمَيّة للأزرق سَلَمة بن الأزرق، فهو أخو عمار لأمّه، وكانت سمية ممن تُعَذّب في الله لتَرجعَ عن دِينها فلم ترجع، فمرّ بها أبو جَهْل، فطعنها بَحرْبَةٍ في قُبُلها فماتت، فهي أوّلُ شهيدةٍ في الإسلام، وكانت عجوزاً كبيرة، وقد ذكرناها في السيرة.

قلت: وقد تشتبه أمُّ عمار بسميّة أم زياد بن أبيه من حيث جرى للحارث بن كَلَدة في تزويجها بغُلامه الرومي ذكر، والفرقُ بينهما أن سمية أمّ عمار كانت في الجاهلية لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وسمية أمّ زياد كانت أَمَةً للحارث بن كَلَدة المخزومي، وكانت من البغايا بالطّائف، وكان لها رايةٌ مثل رايةِ البيطار تُعرَف بها، وسنذكرها في سنة أربع وأربعين عند استلحاق معاوية زياداً.

ذكر صِفة عمار:

قال علماء السير: كان شيخاً آدَمَ طُوالاً، أشْهَلَ العَينين، بعيدَ ما بين المَنْكِبَين، ولا يُغيِّر شَيبه.

وروى أبو نُعيم، عن خالد بن سُمَيْر قال: كان عمار طويلَ الصّمت، طويل الحُزنِ والكآبة، وكان عامّة كلامه عائذاً بالله من فتنة(١).

قال: وعرضت بعد ذلك فِتنةٌ عظيمة.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٤٢ .

ذكر إسلامه:

حكى ابن سعد عن الواقدي، عن عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه قال: قال عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها، فقلت له: ما تريد؟فقال ما تريد أنت؟قال: فقلت: أريد أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، فقال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا على رسول الله ﷺ،فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكَثْنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون، فكان إسلامُ عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً.

ذِكرُ نبْذَةٍ من فضائله:

قال علماء السِّيَر: عمّار من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهِجرَتَيْن، وقيل: الثانية، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً مَن[1] أبواه مؤمنان سواه، وشهد اليَمامة، وقُطعت أُذُنه فيها، وكان من المُسْتَضعَفين الذين يُعَذّبون في الله تعالى ليَرجع عن دينه.

وقال ابن سعد بإسناده عن عمرو بن مَيمون قال: أحرق المشركون عماراً بالنار، فكان رسول الله ﷺ يَمرُّ به ويُمِرُّ يدَه على رأسه يقول: «يا نار كوني بَرْداً وسلاماً على عمار، كما كنتِ بَرْداً وسلاماً على إبراهيم، يا عمار تقتلُك الفِئةُ الباغية».

وفي رواية ابن سعد أيضاً بإسناده عن عثمان قال: أقبلتُ أنا ورسول الله ﷺ إلى البَطْحاء، وأبو عمار وأمُّه وعمار وهم يُعذَّبون، فقال ياسر: الدَّهرُ هكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «اصبروا يا آل ياسر فإن مَوعدَكم الجنّة، اللهمَّ اغفر لآل ياسر وقد فعلتَ»[2].

وقال أبو نُعَيم بإسناده عن عُبيد الله بن عمرو بن محمد بن عَمّار قال[3]: أخذ المشركون عمار بنَ ياسر، فلم يَدَعوه حتّى سَبَّ رسولَ الله ﷺ.

وفي رواية: ذكر آلهتَهم بخير، ونال من رسول الله ﷺ، فلما أتى رسول الله قال له:

---

(١) في (خ) و(ع): مع، وهو خطأ، وانظر تاريخ دمشق ٥٢/ ١١١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٠.

(٣) كذا، وهو خطأ، صوابه: عبيد الله بن عمرو الرقي، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار، كما في الحلية ١/ ١٤٠، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٣١، وتاريخ دمشق ٥٢/ ١٢٤ و١٢٥، والسير ١/ ٤١١.

«ما وراءك؟» قال: شَرٌّ، وأخبره فقال: «كيف تَجِدُك؟» أو «كيف تجد قلبَك؟» فقال: مُطمئنًّا بالإيمان، قال: «فإن عادوا فعُدْ».

وفي رواية: ثم أنزل الله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦].

وقد أخرج ابن سعد عن الواقدي، عن أشياخه بمعناه وقال: قال المشركون لعمار: لا نَدَعُك حتى تقول: واللّات والعُزّى خيرٌ من دين محمد، وتهدَّدوه بالقتل، فقالها فتركوه، فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال له: «أفلح وجهك» فقال: والله ما أفلح، وأخبره الخبر فنزل فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ففي عمار نزلت هذه الآية[(١)].

وحكى عن ابن عباس قال: وفي عمار نزلت ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ الآية [الزمر: ٩].

قال: وعمار أول مَن بنى مسجداً لله تعالى يُصلّى فيه[(٢)].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن هانئ بن هانئ، عن علي عليه السلام قال: جاء عمار يَستأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، مرحباً بالمُطَيَّب»[(٣)].

وقال الترمذي[(٤)] بإسناده عن أبي ربيعةَ الإياديّ، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الجنةَ لَتَشْتاقُ إلى ثلاثة: علي وعمار وسَلْمان».

وحكى البَلاذري[(٥)] عن هُزَيل بن شُرَحْبيل قال: أُتي رسول الله ﷺ فقيل له: وقع على عمار حائطٌ فمات، فقال: «ما مات عمار».

قال الزهري: وهذه من مُعجزات النبي ﷺ.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: رأيتُ عماراً يوم اليَمامة على صخرة وقد أشرف وهو يَصيح: يا معاشر المسلمين، إليّ إليّ فأنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تَفِرّون؟ قال: وقد قُطعت أُذُنه، وأنا أنظرُ إليها تَذَبْذب، وهو يُقاتل أشدَّ قِتال.

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٨٣، ولم أقف عليه في الطبقات.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣١.

(٣) مسند أحمد (٧٧٩).

(٤) في سننه (٣٧٩٧).

(٥) في أنساب الأشراف ١/ ١٨٤.

وفي رواية قال: فكان أعداؤه إذا نَبَزوه قالوا: العبد المُجَدّع، فيقول: خيرَ أعضائي سَبَبْتُم.

وقال ابن سعد بإسناده عن طارق[١] بن شهاب قال: غزا أهلُ البصرة وعليهم رجل من آل عُطارد التميمي، فأمدَّهم أهل الكوفة وعليهم عمار بن ياسر، فقال الذي من آل عطارد لعمار: يا أجْدَع، أتريد أن تُشاركنا في غنائمنا، فكُتب إلى عمر في ذلك، فكتب عمر: إنما الغنيمة لمن شهد الوقعة.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: لما هاجر عمار إلى المدينة نزل على مُبَشِّر بن عبد المنذر. وقيل: إنه آخى رسول الله ﷺ بينه وبين حُذيفةَ بن اليَمان[٢].

ذكر مَقتل عمّار بن ياسر:

قال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن سَلمة قال: رأيتُ عمار بن ياسر يومَ صِفِّين شيخاً آدم في يده الحَرْبة، وإنها لتَرْعَد، فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الرَّاية، فقال عمار: إن هذه راية قد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاثاً، وهذه الرابعة، ولو ضَربونا حتى يُبَلّغونا سَعَفاتِ هَجَر لعَرفتُ أن مَصلَحتنا على الحقّ، وهم على الضَّلالة.

وفي رواية ابن سعد: هذه الراية قد قاتلتُ بها بين يدي رسول الله ﷺ مرَّتين، وهذه الثالثة.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن عمار أنه قال يوم صفّين: الجنة تحت البارِقة، اليوم ألقى الأحبَّة، محمداً وحِزْبَه[٣].

وفي رواية: إن عماراً نادى: هل من رائحٍ إلى الجنّة، أو إلى تحت العَوالي، والذي نفسي بيده، لنُقاتلَنّهم على تأوِيله كما قاتلناهم على تَنزِيله، ثم قال:

نحن ضَرَبناكم على تنْزِيلهِ
واليوم نَضْربْكم على تأوِيلهِ

(١) في النسخ: عطاء، وهو خطأ. والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٥، وأنساب الأشراف ١/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٢/ ١٩١، و السير١/ ٤٢٢.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٢.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٧-٢٣٩.

ضَرْباً يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهِ
ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ
أو يرجعَ الحقُّ إلى سَبيلِهِ

ثم نادى عمار هاشماً المِرْقال: أقْدِم يا هاشم؛ فالجنة اليوم تحت ظِلال السُّيوف، والموتُ في أطراف الأَسَل، وقد فُتحت أبوابُ الجنّة، وتزيّنت الحورُ العِين، وحملا فقُتلا جميعاً[1].

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي البَخْتَرِيّ قال: قال عمار يوم صِفّين: ائتوني بشَرْبَةِ لَبَن؛ فإن النبي ﷺ قال لي: «إن آخر شَرْبَةٍ تَشربُها من الدنيا شَربةُ لَبَن»، فأُتي به فشَرِبه، ثم حمل فقاتل حتى قُتل[2].

وقال أحمد[3] بإسناده عن أبي البَخْتَرِيّ: أن عماراً أُتي بشَرْبَةِ لَبَن، فضحك وقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شراب أشرَبُه اللّبَن حتى أموت».

وقال أبو نُعيم[4] بإسناده، عن أبي سِنان الدُّؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: دعا عمار في ذلك اليوم بشرابٍ، فأُتي بقَدَح من لَبن، فشربه وقال: الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ، قال لي: «يا عمار، إن آخر زادِك من الدُّنيا ضَيْحَةُ لَبَن». الضَّيْح: اللَّبَنُ الرَّقيق.

وفي رواية: إن عماراً استسقى ماءً، فجاءته امرأةٌ من بني شَيبان بعُسٍّ فيه لبن، فرفعه إلى فيه وقال: الله أكبر، اليوم أَلْقى الأحبَّة محمداً وحِزْبَه، ثم نادى عمار: أين مَن يَبتغي رضوان الله، ولا يُوَلّي إلى مالٍ ولا وَلَد؟! فأتَتْه عصابة من الناس، فقال: أيُّها الناس، اقصدوا هذه العصابة التي تَتَعلَّل بدم عثمان، ووالله ما قَصدُهم إلا الدنيا، وقد علموا أن الحقّ إذا لَزِمَهم حال بينهم وبين ما قصدوا إليه، والله لو ضربونا حق يُلحِقونا بسَعَفاتِ هَجَر لعَلمنا أننا على الحقّ وهم على الباطل، والله لَنَضْرِبَنّ اليوم هامَ هؤلاء

(١) وقعة صفين ٣٤١، وأنساب الأشراف ٢/ ٢١٧، ومروج الذهب ٤/ ٣٥٨-٣٥٩، والاستيعاب (١٧٠٥).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٨.

(٣) في مسنده (١٨٨٨٠) و (١٨٨٨٣).

(٤) في الحلية ١/ ١٤١-١٤٢.

الفاسقين ضَرْباً يرتاب منه المُبْطِلون، والله ما يطلبوا دم عثمان إلا ليَصيروا جَبابرةً ومُلوكاً، ولولا ذلك لما تَبعهم اثْنان.

ثم دنا من عمرو بن العاص وقال: ويلك يا عمرو، بِعْتَ دِينك بمِصر، تبّاً لك، وصاح بعبيد الله بن عمر: وَيْحك يا فاسق، بعتَ دِينك من عدوِّ الله وابنِ عدوِّه بالدُّنيا[١].

وحكى ابن سعد[٢] عن الواقدي، عن أشياخه قالوا: قال عمار: اللهمَّ لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أُوقدَ ناراً عظيمة فأقَعَ فيها، أو أُغرِق نَفْسي في الماء لفعلت، وإني لا أقاتل هؤلاء إلا أُريد وَجهك، وأنا أرجو أن لا تُخَيِّبَني، ويده ترتعش على الحَرْبة.

واختلفوا في قاتله على أقوال:

أحدها: أنه أبو الغادية، واسمُه يَسار بن سبع المُرِّي من بني مُرَّة.

وذكره ابن سعد فيمن نزل البصرة من الصحابة، وذكره البُخاري وابن أبي حاتم فيمن نزل بواسط من الصحابة[٣].

وذكره جدّي في «التَّلقيح»[٤] فيمن له صُحبة ورواية، وقال: يسار بن سبع - وقيل: ابن سُبيع - قاتِل عمار، وكُنيته أبو الغادِية.

وذكره أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» وقال: قد اختلفوا في صحبته، وكانت له دارٌ بدمشق بسوق الطَّير، وشهد الجابية مع عمر رضي الله عنه.

وقال: بايعتُ رسول الله ﷺ، وخطبنا يوم العَقَبة فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام...» الحديث.

قال: وكنا نعدُّ عماراً حَناناً فينا، فو الله إني لبمسجد قُباء إذ سمعتُه يَقع في عثمان فقلت: لئن أمكنني الله منك لاقتُلَنّك، فلما كان يوم صفّين حملتُ عليه، فطَعَنْتُه في رُكبته فقتلتُه[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨-٣٩.

(٢) في الطبقات ٣/ ٢٣٨.

(٣) التاريخ الكبير ٨/ ٤٢٠، والجرح والتعديل ٩/ ٣٠٦. ولم أقف عليه في طبقات ابن سعد.

(٤) ص٣٦٩.

(٥) لم أقف عليه في تاريخ دمشق، وأخرجه ابن سعد ٣/ ٢٤٠-٢٤١، وأحمد (١٦٦٩٨)، وابن عساكر =

وحكى ابن سعد عن الواقدي وغيره قالوا: لما استَلْحَم القتالُ يومَ صفّين وكادوا يَتفانَون قال معاوية: هذا يومٌ تَفانى فيه العرب؛ إلا أن تُدرِكَهم فيه خِفَّةُ العبد، يعني عماراً، وكان القتالُ الشَّديدُ ثلاثةَ أيّام ولَياليهن، آخرهنّ ليلةُ الهَرير، فلما كان يوم الثالث قال عمار لهاشم بن عُتْبة ومعه اللّواء يومئذٍ: احمِلْ فداك أبي وأمي، فقال له هاشم: يا عمار إنك رجلٌ تَستخِفُّك الحربُ، وإني إنما أزحفُ باللّواء زَحْفاً رَجاء أن أبلغَ بذلك ما أريد،

فلم يزل به حتى حَمل، فنهض عمار في كتيبته، فنهض إليه ذو الكَلاَع في كتيبته، فاقتتلوا فقُتلا جميعاً، وحمل على عمار حُوَيّ السَّكْسَكِيّ وأبو الغادية المُزَنيّ فقتلاه، ضربه أبو الغادية بسيفه حتى بَرَد، ونادى الناسُ: قتلتَ أبا اليقظان؟! قتلك الله، ولم يعرفه يومئذٍ.

وقال عمار: ادفنوني في ثيابي فإني مُخَاصَم، ولا تغسلوا عني دماً(١).

والقول الثاني: عُقبة بن عامر الجُهَني، وعقبة هو الذي ضرب عماراً بأمر عثمان فأصابه الفَتْق.

والثالث: عُمر بن حارث الخَوْلانيّ.

والرابع: شَريك بن سَلَمة المُراديّ، حكاه ابن سعد عن الواقدي(٢).

والأول أصحّ، وعليه عامّة المؤرِّخين، ونصَّ عليه البَلاذُريّ وغيره(٣).

وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: طعنه أبو الغادِية فوقع، فاحتزَّ رأسَه حُوَيُّ ابن ماتِع بن زُرْعَة السَّكْسَكيّ، ثم أقبلا به إلى معاوية، فاختصما فيه كلٌّ واحدٍ يقول: أنا قتلتُه، فقال لهما عمرو بن العاص: والله إنْ تختصمان إلا في النّار، فقال له معاوية: ما صنَعتَ! قومٌ بَذلوا نفوسهم دوننا تقول لهم هذا؟ فقال عمرو: هو والله ذلك، وإنّك لتَعلَمه، وَدِدْتُ أنّي متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة(٤).

= ٥٢/ ٢١٩_٢٢٢ ، وانظر المعارف ٢٥٧ ، والاستيعاب (٢٧٨٦) و(٣٠٨٩)، والإصابة ٤/ ١٥٠ .

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٢_٢٤٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٠ .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ١٩٣ و٢/ ٢١٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٠ ، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٣ و٢/ ٢١٧ ، ٢٢٠ .

وأخرج أحمد في «المسند»[(١)] بمعناه فقال: حدثنا يزيد بن هارون بإسناده، عن حَنْظَلة بن خُوَيلد قال: بينما أنا عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، كلٌّ واحدٍ يقول أنا قتلتُه، فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص: لِيَطِبْ به أحدُكما نفساً لصاحبه، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول له: «يا عمار تقتُلك الفئةُ الباغية» فقال معاوية لعبد الله: فما بالك معنا؟ قال: طاعةُ هذا الشيخ، فإن رسول الله ﷺ قال لي: «أَطِعْ أباك ما دام حيًّا» ولعَمري ما سللتُ سيفاً، ولا رميتُ بسَهْمٍ، ولا حملتُ سلاحاً ولا أحمله، وأنا معكم ولا أقاتل.

وأخرج ابن سعد بمعناه فقال: حدثنا أبو معاوية الضَّرير بإسناده، عن عبد الله بن الحارث قال: قال عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبَتِ قتلتُم عماراً، وسمعتَ رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلُك الفئةُ الباغية»؟!، وسمعه معاوية فقال: إنك شيخٌ خَرِف؛ لا تزال تأتينا بهَنَةٍ تَدحَضُ بها في بَولك، أنحنُ قتلْناه؟! قتله الذي أخرجه[(٢)].

وفي رواية: فبلغ علياً فقال: ونحن قتلنا حَمْزَة لأننا أخرجناه إلى أُحُد[(٣)].

وروى أيضاً عن عبد الله بن الحارث قال: بينما أنا أَسيرُ مع معاوية في مُنْصَرفه من صِفّين بينه وبين عمرو بن العاص؛ إذ قال عبد الله بن عمرو: يا أبتِ، قتلتُم عماراً وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول له: «وَيْحك يا ابن سُمَيَّة، تقتلُك الفئةُ الباغية» فكيف قتلتموه؟ فقال معاوية: لا تزال تأتينا بهَنَةٍ، أنحن قَتَلْناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به[(٤)].

وأخرج أحمد في مسند عمرو بن العاص[(٥)] بمعناه فقال: حدثنا عبد الرزّاق بإسناده عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن أبيه قال: لما قُتل عمار دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار، وقد قال رسول الله ﷺ: «تقتلُك الفِئة الباغية» فقام عمرو بن العاص فَزِعاً حتى دخل على معاوية، فقال له: ما شأنُك؟ قال:

---

(١) برقم (٦٥٣٨).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٤ .

(٣) انظر العقد الفريد ٤/ ٣٤٣ .

(٤) هو الحديث السابق نفسه.

(٥) برقم (١٧٧٧٨).

قُتل عمار، قال معاوية: قُتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»، فقال له معاوية: دَحَضْتَ في بولك، أوَ نحن قتلناه؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاؤوا به فألقَوْه بين رماحنا وسُيوفنا.

وقال ابن سعد بإسناده إلى جعفر بن محمد[1] قال: سمعتُ رجلاً من الأنصار يحدِّث أبي، عن هُنَيّ مولى عمر بن الخطاب قال: كان أصحاب معاوية يقولون: إن قتلْنا عماراً فنحن الفئةُ الباغية، قال هُنَيّ: فذهبتُ أطوف بين القَتْلى، فإذا بعمار بينهم قتيل، فأتيتُ عمرو بنَ العاص فقلتُ له: ما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في عمار؟ فذكر الحديث، قال: فقلتُ: ها هو قتيل، قال: هذا باطل، فقلت: قم فانظرْه، فجاء، فلما رآه امتُقِع لونُه، ثم قال مثل ما قال معاوية: إنما قتله الذي أخرجه.

وفي رواية: ولما بلغ ذا الكَلاع قتلُ عمار قال لعمرو: وَيْحك، أنحن الفئة الباغية؟! وأضمر الرجوع إلى عسكر أمير المؤمنين وكانت تحت يده ستون ألفاً، واختلط الناس فقتله المِرْقال.

قلت: وقد روى حديث «تقتُلُك الفئة الباغية» جماعة؛ منهم أبو قتادة:

قال أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخُدريّ قال: أخبرني مَن هو خير منّي أبو قتادة، أن رسول الله ﷺ قال لعمار بحَفْرِ الخندق، وجعل يَمسح رأسَه ويقول: «بُؤْسَ ابنِ سميّة، تقتُلُك الفئةُ الباغية».

انفرد بإخراجه مسلم[2]، البُؤْس: الفقر[3].

وهذا خُرِّج على عادة العرب، كقوله عليه السلام لمعاذ: «ثكلتْكَ أُمُّك». ولهذا وقع في بعض نسخ البخاري: بُؤْساً لعمار[4].

---

(١) في (خ) و(ع): محمد بن جعفر، وهو خطأ، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٤، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٢٧.

(٢) مسند أحمد (٢٢٦٠٩)، وصحيح مسلم (٢٩١٥).

(٣) فسره النووي وغيره بالشدة والمكروه، انظر حواشي المسند، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٤٠.

(٤) كذا، والذي في البخاري (٤٤٧) و(٢٨١٢) من حديث أبي سعيد ﷺ: ويح عمار، وفي مسلم (٢٩١٥) (٧١) من حديث أبي قتادة ﷺ ويس أويقول: يا وَيْسَ ابنِ سمية.

ورَوَينا في حديث أبي سعيد؛ أن عماراً كان يَحمل في بناء مسجد رسول الله ﷺ لَبِنَتَيْن لبنتين، فرآه النبيُّ ﷺ، فجعل يَمسح التُّرابَ عن وَجْهه ويقول: «وَيْحَ عمّار، [تقتله الفئة الباغية]، يَدعوهم إلى النَّجاة، ويَدعونه إلى النار(١)».

وقال ابن عبد البر: لما احتُضر عبد الله بن عمرو قال: ما أَجِدُ في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أني لم أُقاتل الفئةَ الباغية مع علي عليه السلام(٢).

وقال هشام عن أبيه: ولما بلغ أميرَ المؤمنين قتلُ عمار جاء، فرآه مقتولاً وإلى جانبه هاشم المِرقال، فنزل وجلس عندهما يبكي، وترحّم عليهما وقال: رَحِمك الله أبا اليقظان، ما زلتَ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر. ولفَّهما في ثيابِهما ولم يَغْسِلْهما، وصلّى عليهما، فجعل عماراً مما يليه، والمِرقال مما يلي القِبلة(٣).

قال ابن سعد: وكبَّر عليهما خمساً أو ستاً أو سَبعاً(٤)، فلما أدخلهما القبر جعل عماراً أمامه.

واختلفوا في سنّ عمار، فحكى ابن سعد عن الواقدي قال: والذي أُجمِع عليه في قتل عمار أنه قُتل بصِفّين في صفر، سنة سبعٍ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، ودُفن هناك.

وذكر ابن سعدأيضاً أنه قُتل وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة(٥).

وذكره البَلاذري وقال: وهو الثبت عندنا(٦).

وحكى جدّي في «المنتظم» أنه قُتل وهو ابن إحدى وتسعين سنة(٧).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٦١)، والبخاري (٤٤٧) و(٢٨١٢) وما بين معكوفين منهما.

(٢) بنحوه في الاستيعاب (١٤٤٠).

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٢ و٢٤٣، وأنساب الأشراف ١/ ١٩٨ و٢/ ٢٢٠، وتاريخ دمشق ٥٢/ ٢٢٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٤ و٢٤٠ (على الترتيب)، و٨/ ١٣٦.

(٦) حكى البلاذري عن الواقدي أنه قتل ابن إحدى وتسعين سنة، وأن الثبت أنه قتل ابن ثلاث وتسعين سنة، انظر أنساب الأشراف ١/ ١٩٨، و٢/ ٢١٨.

(٧) المنتظم ٥/ ١٤٨.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الضُّحى قال: رأى أبو ميسرة في المنام رَوضةً خضراء فيها قِبابٌ مَضروبة، فيها عمار وذو كلاع. وفي رواية حَوْشَب قال: قلتُ: كيف هذا وقد اقتتلوا؟ قال: فقيل لي: وَجدوا ربًّا واسِعَ المَغْفِرة[١].

قلت: وكان لعمار بن ياسر ولداً اسمُه محمد بن عمار، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، قال: وقد رُوي عنه الحديث[٢].

ذكر مسانيده:

واختلفوا فيها، فقال قومٌ أسند اثنين وستين حديثاً، وقال ابن البَرْقي: بِضْعاً وعشرين حديثاً، وأكثرها لأهل الكوفة، وبعضها لأهل المدينة.

أخرج له في الصحيحين خمسة أحاديث، اتفقا على حديث واحد في التيمم، وانفرد البخاري بثلاثة أحاديث[٣]، ومسلم بحديث.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عمّار سواه.

وأخرج له أحمد سبعةً وعشرين حديثاً بعضُها في الصحيح.

ومن مسانيده: قال أحمد بإسناده عن واصِل بن حَيّان قال: قال أبو وائل: خَطَبنا عمار فأبلَغَ وأوجَز، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغتَ وأوجزْتَ، فلو كنتَ تَنَفَّسْتَ، فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن طولَ صلاةِ الرَّجل وقِصَرَ خُطْبَته مَئِنَّةٌ من فِقهه، فأطيلوا الصلاةَ، وأَقْصِروا الخُطبَة، فإن من البيان سِحْراً».

انفرد بإخراجه مُسلم[٤]، ومعنى مَئِنَّةٌ؛ أي: عَلامَة.

انتهت ترجمة عمار بن ياسر

وفيها توفي

قيس بن المَكْشُوح

واسم المكشوح: هُبَيْرة بن عبد يَغوث المُرادي، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من مُراد.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤١.

(٣) في (خ): البخاري بحديث، وهو خطأ، والمثبت من تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٦ وانظر ٣٦٥.

(٤) مسند أحمد (١٨٣١٧)، وصحيح مسلم (٨٦٩).

قال: وإنما سُمِّي أبوه المَكْشوح لأنَّه كُشِح بالنار، أي: كُوِي على كَشْحِه[١].

وكان قيس فارسَ مَذْحِج، وسَيِّدَ مُراد، وكنية قيس أبو حَسَّان، كان أحد فرسان العرب.

وقيس ابنُ أخت عمرو بن مَعْدي كَرِب، وكان ممَّن أعان على قَتْلِ الأَسْوَدَ العَنْسِيّ.

شهد قيس اليرموك، وأُصيبت عينُه فيه، ولما جهَّز أبو بكر ﷺ أبا عبيدة إلى الشام أوصاه أبو بكر بقَيْس وقال: قد صَحِبك رجلٌ عظيم الشَّرَف، فارس العرب، ولا غَناء للمسلمين عن رأيه ومشورتِه، وبارز يوم اليرموك بِطْرِيقَيْن عظيمَين من الروم فقتلهما مُبارَزَةً، فسُرَّ به أبو بكر.

وكان قيس من أصحاب أمير المؤمنين، قُتل معه بصفّين في اليوم الثاني الذي قُتل فيه عمار.

وقال أبو القاسم بن عساكر: أدرك النبي ﷺ ولم يَرَه[٢].

وقال جدي رحمه الله في «التَّلقيح»[٣]: قيس بن المَكشوح، واسم المكشوح هُبَيْرَة ابن عبد يَغوث، له صُحبة ورواية.

قلت: وقد استوفى أخبارَه ابنُ سعد وقال: وقيس هو الذي قَتَل الأَسْودَ العَنْسي الذي تَنَبَّأ، فسَمَّتْه مُضَر: قيس غُدَر، فقال: لستُ غُدَر، ولكنّي حَتْفُ [مُضر][٤].

وفيها توفي

هاشم بن عُتْبَة

ابن أبي وَقَّاص الزُّهري، ابن أخي سعد بن أبي وَقّاص، واختلفوا فيه؛ ذكره ابن سعد فقال: هو من الطبقة الرابعة من مُسلمة الفَتح، وكذا قال الخطيب[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٣ و٨/ ٨٥.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ١٨٠.

(٣) ٢٤٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٣-٢٦٥ وما بين معكوفين منه، ومن قوله: قال أبو القاسم ... إلى هنا ليس في (خ). وانظر الاستيعاب (٢١٣٢)، والسير ٣/ ٥٢٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٤، وتاريخ بغداد ١/ ١٩٦. ومن قوله: وفيها توفي هاشم ... إلى هنا ليس في (خ).

قال أبو القاسم بن عساكر: لم تَثبت لهاشم صُحبة، ووُلد على عهد النبي ﷺ(١).

قال المدائني: وأبوه عُتبة هو الذي كَسَر رَباعِيَة رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فكان أشياخ المدينة يقولون: لم يبلغ أحدٌ من ولد عُتبةَ الحُلُمَ إلا هُتِم أو بَخِر، لما صنع عُتبة برسول الله ﷺ(٢).

وأمُّ هاشم بنتُ خالد بن عُبَيد بن سُوَيد، ويُلَقَّب هاشم بالمِرْقال.

واختلفوا لم سُمِّي بذلك؛ فقال الهيثم: لأن أمير المؤمنين قال له يوم صفين: تقدم بالرَّاية فأرقِلْ بها.

وقد ذكره الجوهريّ فقال: الإرْقَال: ضَرْبٌ من الخَبَب، وقد أَرْقَل البَعيرُ، وناقَةٌ مِرْقال ومُرْقِل؛ إذا كانت كثيرة الإرقال، قال: والمِرْقال: لقبُ هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص الزُّهريّ، لأن أميرَ المؤمنين دفع إليه الرَّايةَ يومَ صِفّين، فكان يُرْقِل بها إرقالا(٣).

قال البَلاذري(٤): سُمِّي بذلك لأنه قال: والله لأُرْقِلَنّ إلى هذا العدوّ إرقال الجَملِ الصَّعْب.

وقال الخطيب: حضر هاشم حصار دمشق ووقعة اليرموك والقادسية وكان أميراً على كُرْدوس، ولم يزل مع أمير المؤمنين في حروبه(٥).

وقال خليفة: وفي سنة سبع عشرة هرب يَزْدَجِرْد من المدائن، فعقد سعد لهاشم بن عُتبة، فسار خلفَه، فهزم الله الفُرس، وغَنمهم هاشم.

قال: وفي سنة ثمان عشرة فُتحت حُلْوان على يدي هاشم بن عُتبة(٦).

قال البلاذري: كان هاشم قد أفطر في آخر يوم من شهر رمضان، فشهدوا عليه بذلك عند سعيد بن العاص؛ عامل عثمان على الكوفة، فاستدعاه سعيد وقال له: ما

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٠.
(٢) التبيين ٢٨٩.
(٣) الصحاح ٤/ ١٧١٢ (رقل).
(٤) في أنساب الأشراف ٨/ ١١٨.
(٥) لم يذكر الخطيب ١/ ١٩٦ أنه حضر حصار دمشق.
(٦) تاريخ خليفة ١٣٦-١٣٧، ١٤٠.

الذي دعاك إلى أن أفطرتَ قبل أميرك؟! قال: رأيتُ الهِلال، فقال سعيد: كيف رأيتَه بعين واحدة، والناس يرونه بعينين ولم يَرَوه؟! فقال له هاشم: سبَبْتَ[1] خيرَ عَينَيّ. فضربه سعيد حدًّا مئة جلدة.

فلما قُتل عثمان لحق هاشم بعلي عليه السلام فاستعمله على الكوفة، وكان سعيد بالكوفة، فضربه هاشم الحدّ مئةَ جلدة كما فعل به سعيد، وقال هاشم بن عتبة وسعيد يُضرَبُ بين يديه: [من البسيط]

صَبْراً سعيدُ فإن الحُرَّ مُصْطَبِرٌ ضَربٌ بضربٍ وتَسْحابٌ بتَسْحابِ

وقال الزبير بن بكار: أسلم عُتبة ومات مسلماً، وأوصى إلى أخيه سعد، وعُتبة هو الذي كَسَر رَباعيَة رسول الله ﷺ يوم أحد.

قال: وابنُه هاشم بن عُتبة كُنيته أبو عمرو، ويُعرف بالمِرْقال، كان من الأبطال والفُضَلاء الأخيار، وهو الذي فتح جَلُولاء، وكانت تُسمَّى فتحَ الفتوح، بلغت غنائمها ثمانيةَ عشر ألف ألف، وأرسله عمر إلى عمّه سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، فأبلى بلاءً حسناً، وقام مَقاماً لم يَقُمه أحد، وكان سبب الفتح[2].

والأصح أن هاشماً أدرك اليومَ الرابع، وقد ذكرناه هناك.

قال: وحضر هاشم صفّين مع أمير المؤمنين، وكان على الخيل، وقيل: على الرَّجّالة، فقاتل في اليوم الذي قُتل فيه عمار قِتالاً شديداً، فقُطِعت رجلُه قبل أن يُقتل، فجعل يُقاتل على رجلٍ واحدةٍ ويقول:

الفَحلُ يَحمي شَوْلَه مَعْقولا

وقال أبو عبيد القاسم: كانت الرَّايةُ العُظمى بيده يوم صفين، فجعل عمار بن ياسر يتناوله بالرُّمْح ويقول: أقْدِم يا أعور، وكان في مقابله عمرو بن العاص، فقال عمرو: إني لأرى صاحبَ الرَّاية السَّوداء إن دام على هذا ليُفنِيَنّ العربَ اليوم.

وكان مع هاشم أربعة آلاف قد بايعوه على الموت، وحمل هاشم على أهل

(١) في أنساب الأشراف ٨/ ١١٩: سَمّيت.

(٢) التبيين ٢٨٩-٢٩٠.

فلسطين، وكان فيهم محمد وعبد الله ابنا عمرو بن العاص، وثار العَجاج، فقال عمرو: ما هذه الغبرة؟ قيل: على ابنيْك عبد الله ومحمد، فساق عمرو نحوهما، فقال له معاوية: لا تَنتقضُ صفوف أهل الشام، فقال عمرو: إنك لم تَلدهما، ورآه المِرقال فترك ابنيْه وقصده، وأردفه معاوية بذي كَلاع في جيوش أهل الشام، فحمل المِرقال عليهم، فقتل هو وأصحابُه من أهل الشام أربعةَ آلاف، منهم ذو الكلاع، وعبيد الله بن عمر، وأعيان القوم، وحمل عليهم الحارث بن المنذر التَّنوخي فقطع رِجله، ثم جاءت الكتيبة الشَّهباء، فحمل عليهم وهو مَقطوع الرِّجْل، فقَتل منهم جماعة وقتلوه.

وقال الموفق: ولما بلغ عائشة رضي الله عنها قتلُه قالت: ذلك الذي لم تُرَدّ له رايةٌ قط[1].

ذكر أولاده: قال الواقدي: كان له عبد الرحمن، وعبد الله، وعبد الملك، وأمُّهم أميمة بنت عوف بن سَخبَرة من الأَزْد، وإسحاق وأمُّ الحكم، وأمُّهما أمُّ إسحاق بنت سعد بن أبي وقاص، وبَشير وأمُّه السَّيِّدة بنت قَيس بن حسان، من بني مَرْثد، وهاشم بن هاشم لأُمّ وَلَد[2].

وقال الهيثم: لما قُتل هاشم يوم صفين أخذ الرَّاية ولَدُه عبدُ الله بن هاشم، فقاتل مليًّا، ثم أُسِر، فأُتي به معاوية، فقال له عمرو بن العاص: اقتُلْه، فأبى وحَبَسه، فقال عَمرو يُعاتِب معاوية: [من الطويل]

أمَرتُكَ أمراً حازماً فعَصَيتَني ... وكان من التَّوفيقِ قَتلُ ابنِ هاشمِ
أليس أبوه يا ابنَ هِند الذي به ... رَمانا عليٌّ عندَ حَزِّ الغَلاصِمِ
فهذا ابنُه والفَرْعُ يُشْبِهُ أصلَه ... ويُوشِكُ أن تَقرَعَ به سنَّ نادِمِ

فكتب عبد الله إلى معاوية فقال: [من الطويل]

مُعاويَ إن المرءَ عَمْراً أبَتْ له ... ضَغِينةُ صَدْرٍ وُدُّها غيرُ سالمِ
يَرى لك قَتلي مُسْتَحِلًّا وإنما ... يَرى ما يرى عَمرٌو ملوكُ الأعاجمِ

(١) التبيين ٢٩٠. وانظر في ترجمة هاشم ومقتله: نسب قريش ٢٦٣، والطبري ٥/ ٤٢، والمعارف ٢٤١، والأخبار الطوال ١٨٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٢١، ومروج الذهب ٤/ ٣٦١، والاستيعاب (٢٦٨٥)، والمنتظم ٥/ ١١٦، والسير ٣/ ٤٨٦، والإصابة ٣/ ٥٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٧٤-٧٥.

على أنَّهم لا يَقتلون أسيرهم إذا كان فيه منعةٌ للمُسالِم
وقد كان منا يومَ صفّين وَقْعَةٌ عليك جناها هاشِمٌ وابنُ هاشم
مضى من قضاءِ الله فيها الذي مضى وما قد مَضى منها كأَضْغَاثِ حالم
هي الوَقْعةُ العُظْمى التي سار ذِكرُها وكلٌّ على ما فات ليس بنادِمِ
فإن تَعفُ عني تَعْفُ عن ذي قرابةٍ وإن تَرَ قتلي تستحلّ محارمي

فأطلقه معاوية، وأحسن إليه، فحلف عبدُ الله أن لا يَخرجَ عليه[1].

انتهت ترجمتُه والله أعلم

❀ ❀ ❀ ❀

(١) وقعة صفين ٣٤٨ـ٣٤٩، وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٩٥ـ٢٩٧.